جـامعـــة الجــزائــر
كـــلـــيـــة العلــوم السيــاســيــة و الإعـــــــلام
قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية

ظاهرة النزعة البربرية في الجزائر من الحركة الوطنية حتى التعددية الحزبية

رسالة مقدمة لنيـل شهادة الماجستير في العلـوم السياسـية و العلاقـات الدوليـة
فرع التنظيم السياسي و الإداري

من إعداد الطالبة **بن جيـلالي فلـة**

تحت إشراف
الأستاذ **د . عمار بن سلطان**

أعضاء لجنة التحكيم
1- الأستاذ د. اسماعيل دبـــش
2- الأستاذ د. عمار بن سلطان
3- الأستاذ د. صالح ســعــود

ذو الحجة 1422 هجري الموافق لـ مارس 2002 م

- المــــقــــدمـــة -

إن تناول موضوع الظاهرة البربريـة من خـلال هذا البحث العلمـي ، مـا هـو إلا مسـاهمة فكريـة لنشـر المصـادر الرئيسـية فـي التـاريخ السياسي للجزائر ، منطلقين من أن هذه المسألة هي مسألة إيديولوجية سياسية بعيدة المدى ، حيث لا يمكننا موضوعيا أن تقف عند الحد الثقـافي أو اللغـوي ، لأن طرحها في خصوصية كخصوصية المجتمعات المغربية قد خلق غمـــوضا و إشكالا .

عليه نسعى للبحث في هذا الموضوع إنطلاقا من إستخلاص نتائج الأحداث التاريخية و السياسية للبلاد ، كوسيلة تساعدنا قدر الإمكـان علـى التعرف على طبيعة الصعوبات التي تعترض اليوم طريقنـا السياسـي متجهيـن نحـو وزن عوامـل الإخفـاق التقليديـة فـي حياتنـا كأمـة ، منقبيـن علـى الطريـق الصائب الذي سيقـودنا في الأخيـر لإنتـــهاج وسيلة عقلانية تخرجنا مـن اللـف و الدوران .

" فالمسألة تنحصر فـي عمـل شـعب قـام بإنجـاز ثورتـه لكـي يقذف بالمحتل خارج حدوده ، و هو يريـد أن يرسـي داخـل هـذه الحـدود نظامـا عاما و شكلا من الحياة يمكن فيهمـا لكـل جزائـري أن يجـد كـل الدوافـع و كـل الضمانات الضرورية لوجوده ." (1)

إن الباحث في هذا الموضـوع يجد نفسـه أمـام طـرحـين إثنين : أولهما يسلم بأن الظاهرة البربرية هي مسألة لغة بحتة ، أما ثانيهما فهو يسلم بأن القضيـة هـي قضيـة إنتمـاء حضـاري ، مستبعدا طرحهـا الأول الـذي يحصرها في اللغة ، علما أن الطرحين لا يمكن الفصل بينهما إلا قليلا ، إستنادا إلى أن " هذه المسألة قد حسمت منذ أربعـة عشـر قرنـا . إنـي هنـا أذكـر حديثـا شريفا للنبي عليه الصلاة و السلام ، و هو طويل ينتهي بقوله صلى اللـه عـليه

1- مالـــك بـن نبـي ، آفـاق جزائريـة للحضـارة ، للثقافـة ، للمفهوميـة .(ترجمـة الطيـب شريف) ، الجزائر : مكتبة النهضة الجزائرية ، بدون تاريخ ، ص 32.

و سلم (إن العربية باللسان) ، فلا فائدة من إثارة مشاكل خاصة بتعريف العروبة ، فمن يتحدث العربية و يتأدب بأدابها فهو عربي مهما كان لونه ." (1)

على هذا الأساس ، ننطلق نحن لنجعل مشكل اللغة مشكلا لا يهمنا في هذا البحث بصفة مباشرة ، سيما و أن طابع البحث طابعا سياسيا ، لنترك هذا الموضوع لمختصي اللسانيات ، القادرين على تناوله و الإلمام به .

" لكن لا وجود لمنازعات تاريخية حقيقة بين الناطقين بالبربرية و الناطقين بالعربية ، و هذا دون شك لأن الناطقين بالعربية هم بالنسبة للكثير بربر تعربوا مؤخرا ، و حافظوا تقريبا على نفس الهياكل الإجتماعية و السياسية الخاصة بالناطقين بالبربرية ، فقليلة هي القبائل التي قدمت فعلا من الجزيرة العربية ." (2)

لماذا تم إختيارنا لهذا الموضوع بالذات ؟ لقد تمت عملية الإختيار على أساس أن الظاهرة البربرية باتت تطرح إشكالا حول موضوع الهوية الوطنية ، مما ولد نوعا من الصراع السياسي ، فتسليط الضوء على هذه المسألة في الجزائر قد يساهم في تفادي أزمة خطيرة على البلاد هي في غنى عنها ، سيما في ظل الظروف الراهنة ، فالغموض الذي يسود هذه المسألة نشأ عنه نوعا من الإحساس بفقدان الذات ، و ما من واجبنا نحن كباحثين علميين سوى رفع الستار عن مثل هذه القضايا لتعرف النور العلمي ، مساهمة منا للتعرف على حقائق أسلافنا التاريخية و السياسية ، حتى نساعد بقدر الإمكان **السلطات العليا للدولة ، تلك المعنية بإتخاذ القرار ، على الإبتعاد عن مبدأ** الإقصاء و التهميش و تبني المفاهيم الحقيقية للديمقراطية بغرض تقليص الهوة

1- محمد السيد غلاب : " العرب و إفريقيا ". مركز دراسات الوحدة العربية : بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي . ط2 ، لبنان ، بدون دار نشر ، (يناير) ، 1998 ، ص 97 .

2-YVES LACOSTE , « PEUPLEMENTS ET ORGANISATION SOCIALE .» IN : L'ETAT DU MAGHREB . CAMILLE ET YVES LACOSTE , FRANCE : EDITION LA DECOUVERTE , 1991 , P 30 .

بين الدولة و المجتمع ، سيما و أن " البحث العلمي عندنا يعيش ركودا نسبيا لأسباب كثيرة ، بعضها يتصل بالباحث نفسه و ظروفه ، و بعضها الآخر يتصل بالمناخ في الجامعة و خارجها ، و أخيرا هناك ما يتعلق بمفهوم البحث العلمي و مدى إيمان المجتمع و الدولة به و بفائدته . " (1)

كما يرجع السبب الرئيسي لإختيارنا لهذا الموضوع إلى الرغبة في المساهمة في الكتابة عن هذه الظاهرة ، محاولة منا لتصحيح بعض الرؤى السياسية ، هذا إضافة إلى الأهمية البالغة التي يكتسيها هذا الموضوع ، خاصة في علاقته المباشرة بالإستعمار الفرنسي ، إذ إتخذ كوسيلة و هدف في نفس الوقت ، ناهيك عن قلة الأبحاث في هذا الموضوع ، سيما السياسية منها ، إذ أنه حتى و إن وجدت ، فقد تناولت موضوع البحث من الزاوية التاريخية أو اللغوية ، فهو موضوع حي للدراسة ، يبقى مرتبطا بمصالح إستراتيجية لبعض القوى السياسية داخل و خارج البلاد ، مما يمده أهمية سياسية بالغة تحتاج إلى إثراء من طرف الباحثين ، خاصة في ظل الحساسية التي تطبعه و التي كانت سببا مباشرا في قلة المراجع المتعلقة به .

على الرغم من ذلك ، فقد إهتم البعض من الباحثين و الكتاب بهذا الموضوع ، إذ تناوله كل واحد من زاوية خاصة ، من أهم هؤلاء أذكر على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرحمان بن خلدون الذي تعرض إلى موضوع الأصول التاريخية للبربر ، امبارك الميلي الذي تناول القضية في جل أجزاء كتاباته بإعتبارها تتناول تاريخ إفريقيا ، العالم الفرنسي باسيه الذي اهتم بموضوع اللهجات البربرية و التي قدرها بخمسة آلاف لهجة في العالم ، السعيد الزاهي الذي تساءل حول أصول البربر، عثمان سعدي تناول أيضا المسألة مؤلفا عدة كتب حولها ، سعيد سعدي ، علي قنون ، عمر وردان ، و غيرهم من الكتاب و الباحثين في التاريخ و السياسة عامة ، و في التاريخ السياسي للمغرب العربي و شمال إفريقيا خاصة .

1- د عبد الله ركيبي ، " مخطط لتطوير البحث العلمي في العلوم الإنسانية بالجامعة الجزائرية " : حوليات جامعة الجزائر ، العدد 5 ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، 1990-1991 ، ص 25 .

عليه تكون الأسئلة التي سنحاول البحث فيها من خلال هذا العمل العلمي كالآتي : لماذا لم تظهر ظاهرة النزعة البربرية في الجزائر قبل 1830 ، أي قبل الإحتلال الفرنسي للجزائر ؟ لماذا طرحت و تطورت بشكل تدريجي مع تطور الظاهرة الإستعمارية ؟ كيف تعاملت الإدارة الفرنسية معها ؟ و كيف تعامل النظام السياسي الجزائري معها بعد الإستقلال ؟ و أخيرا ، كيف يمكن حل هذه المسألة و إحتواء ظاهرة النزعة البربرية بصفة نهائية دون المساس بالوحدة الوطنية ؟

للإجابة على هذه الأسئلة نتبنى الفرضيات التالية :

- إن ظاهرة النزعة البربرية ما هي إلا ظاهرة إستعمارية ، ظهرت بوادرها الأولى بظهوره ، لكنها لم تنته بخروج فرنسا من الجزائر .

- إن التخلف و الجهل اللذان طبعا الجزائر كشعب ، كانا من أهم العوامل المساعدة لظهور هذه الظاهرة ، إذ بواسطتهما قبلت أولا بالأذهان ثم وظفت بعد ذلك بشتى الطرق .

- إن إتخاذ الأسلوب الديمقراطي كان كأداة للتعبير ، و ما تشكيل الأحزاب السياسية إلا بهدف ذلك .

إن المنهج الذي إعتمدناه في هذا البحث هو مزيج بين المنهج التاريخي و المنهج المقارن التحليليين ، قد لجأنا للمقرانة بين الأحداث السياسية التي ميزت المراحل المختلفة لظاهرة النزعة البربرية بالجزائر ، و التي جعلتها تختلف بدورها في الشكل و المضمون .

على هذا الأساس قسمنا خطة البحث إلى أربعة فصول : فصل أول نتعرف من خلاله على التواجد البربري بالأراضي الجزائرية حتى فترة دخول المسلمين العرب ، يلي ذلك الفصل الثاني من البحث و الذي يعرفنا بدوره على النشأة السياسية للظاهرة البربرية في الجزائر ، لنتمكن من التطرق إلى ظهورها و كيفية توظيفها داخل الحركة الوطنية .

فيما يخص الفصل الثالث ، فهو يخص الفترة بعد الإستقلال ، حيث طرحت الظاهرة من جديد بأسلوب يختلف عن سابقه ، متعرفين هذه المرة على أهم تطورات الظاهرة في ظل تتالي الأنظمة السياسية الجزائرية .

في الفصل الرابع و الأخير سنحاول التوجه نحو الأساليب الجديدة التي إتخذتها الظاهرة البربرية تحت راية الديمقراطية ، و ذلك لإلتماس أهم الخلفيات السياسية المتبناة ، في ظل أحداث جديدة و ظروف خاصة .

ما لا يفوتنا أن نذكر به في مقدمة هذا البحث ، هي الصعوبات التي يتلقاها الباحث و هو يؤدي رسالته العلمية ، تلك التي تقف في أغلب الأحيان كحاجز أمام تقدم أعماله ، معرقلة السير الحسن و المنتظم لها ، مما قد يدفع بالباحث إلى التراجع عن أعماله بتضيييع وقت ثمين ، سببه الرئيسي ندرة المراجع ، ضيق الوقت ، و عدم الحصول على المساعدة من طرف ذوو الإختصاص و الخبرة ، إلا أن هذا الأمر لم يمنع أغلب الطلبة و أنا من ضمنهم من الإستمرار في البحث و التنقيب عن المصادر و طلب يد المساعدة من أهل العلم و القرار و الإختصاص ، من أجل إتمام أعمالهم العلمية خاصة و أن البعض من الشخصيات الوطنية ، و البعض من المسؤولين و الأساتذة و الزملاء لم يترددو للوقوف بجانبنا نحن المحتاجين إليهم في تأطير أعمالنا ، فلا يفوتنا أبدا أن نتقدم بالشكر و الإمتنان لهم ، مخلصين و أوفياء ، واعدينهم بمواصلة المشوار و مساعدة كل من سيحتاج إلينا مستقبلا .

الفصل الأول : البربر في الجزائر حتى الفتوحات الإسلامية

يتناول الفصل الأول من هذا البحث العلمي المتواضع ، موضوع تواجد البربر بمنطقة الشمال الإفريقي ، متعرفين على أهم المراحل التي رافقت التحولات التي تعرض إليها العنصر البربري حتى إكتسابه للصبغة السياسية ، لتنشأ ظاهرة النزعة البربرية كظاهرة سياسية ، ستلعب دورا فيما بعد إختلف بإختلاف الأساليب التي طرحت بها .

ما يمكن للقارئ أن يلاحظه من خلال هذا الفصل ، هي الصفة التاريخية التي يتميز بها لنقول أنه أمر ضروري ، إذ نعتبر هذا الفصل مدخلا للموضوع الذي يكتسي بدوره الطابع التاريخي ، و الذي لا يمكننا أبدا أن نبتعد عنه نظرا لطبيعة موضوع البحث ذاته ، ذاك الذي يتطلب منا مواكبة المسار التاريخي للأحداث السياسية التي طبعت البلاد .

سيعرفنا هذا الفصل أيضا على أهم معاني بعض المصطلحات التي لازال استعمالها متداولا إلى غاية يومنا هذا .

كما لا يفوتنا أن نذكر أن موضوع اللغة البربرية لن نتطرق إليه في هذا الفصل و لا في الفصول الأخرى التابعة ، لأننا نعتبره أمر لا يخصنا ، سيما و نحن بصدد البحث العلمي المختص في العلوم السياسية ، لنترك موضوع اللغة و اللسانيات لذوي الأهل و الإختصاص ، و كلنا تحفظا بالرأي حول موضوع وجود البربرية كلغة ذات قواعد علمية كباقي لغات العالم ، أم كونها لهجة من اللهجات الوطنية المحلية .

المبحث الأول : الخصائص العامة للبربر

تباينت التسمية الخاصة بالسلالة البشرية الأولى التي شغلت شمال القارة الإفريقية بين بربر وأمازيغ ، هؤلاء الذين اتسموا منذ العهود القديمة ببعض المميزات ، أمدتهم طابعا خاصا بهم ، بل و باتت تلازمهم حتى يومنا هذا كصفات تفرقهم عن باقي العناصر البشرية الأخرى ، خاصة و قد سعوا في سبيل الحفاظ عليها بواسطة طابعهم الإجتماعي المغلق ، و الذي صار اليوم بطاقة تعريف لهم أينما و جدوا بالعالم .

أولا : لمحة عن ماهية البربر التاريخية

يتفق الباحثون و المؤرخون على أن البربر هم السكان الأوائل الذين استقروا بمنطقة الشمال الإفريقي و صاروا بعد مرور السنين سكانها الأصليون ، و ذلك على الرغم من احتكاكهم بمختلف الحضارات التي عبرت المنطقة ، تاركة آثارا لا زالت بقاياها موجودة لحد الساعة .

" يعرف سكان شمال إفريقيا عموما ، (المغرب العربي حاليا) منذ القديم بإسم البربر ، و هذه المجموعة السكانية تتوزع على الرقعة الجغرافية الممتدة من المحيط الأطلسي غربا إلى أقصى الحدود الليبية المصرية " (1) ، فهم حسب ما تدل عليه الكثير من الكتابات التاريخية ، السكان الأصليون لهذه المنطقة الجغرافية المتضمنة لبلادنا الجزائر ، إنهم مجموعة من القبائل المتفرقة المختلفة اللهجات ، قليلة التفاهم فيما بينها نظرا لإختلاف النطق بينها ، أغلبيتها تتمركز بالمناطق الريفية و الجبلية ، الأمر الذي استدعاها – فيما بعد – إلى إستعمال العربية كلغة توحد بينها و تجعل التفاهم بين جميع قبائلها ممكنا بل و سهلا ، و هذا عبر كافة مناطق ترابنا الوطني .

لكن يا ترى من أين وردت هذه التسمية ؟ و ما الذي تعنيه ؟ بل و من سمى هذه القبائل بهذه التسمية التي لا زالت متداولة لحد الساعة داخل و خارج حدود الوطن ؟ و ما السر في إعتزاز أهلها بها ؟

1- د أحمد بن نعمان ، فرنسا و الأطروحة البربرية . ط2 ، الجزائر : شركة دار الأمة ، 1990 ، ص 9 .

أ/ التعريف بمعنى مصطلحي بربر و أمازيغ : " إيمازيغن في اللغة البربرية جمع مفرده أمازيغ ، و هو الإسم الذي يسمي البربر أنفسهم به " (1) ، بمعنى أن هذه العناصر السكانية هي التي أطلقت إسم أمازيغ على نفسها ، و لم يعط لها من قبل عناصر أخرى ، و هذا عكس ما سوف نراه مع مصطلح البربر ، الذي أطلقه عليها اليونان و كل هؤلاء الذين إستوطنوا منطقة الشمال الإفريقي من بعدهم ، لتلازمهم هذه التسمية حتى اليوم ، معتزين بها ، مفتخرين ، و متمسكين بمعانيها العتيقة .

فأمازيغ كلمة قد تعني " النبل و الشهامة ، و قد تعني الأقوياء الأشداء القلوب " (2) ، حيث يرجع سبب هذه التسمية إلى كون شعوبا تتخذ عادة أنسابها عنوانا للعزة و المتاعة و هذا بهدف الإعتزاز بالنفس ، الأمر الذي يفسر لنا المعنى الآخر لهذه الكلمة ، ألا و هو " الرجل الحر ." (3)

" لم تولد الجزائر في أول نوفمبر 1954 ، و لم تولد كذلك مع مجيء العرب أو الرومان . إنها تمتد على أكثر من 25 قرنا ، منذ أن خرج شعبنا من عصر ما قبل التاريخ ، و سمى نفسه بأمازيغ ، بمعنى الرجال الأحرار ." (4)

أما عن كلمة بربر ، فهي تعني مجموعة من الشعوب التي لها آثار عبر حقبات زمنية مختلفة ، راجعين في تفسير ذلك إلى أن الشمال الإفريقي في الماضي كان يقطنه البربر حسب المؤرخين اليونان و اللاتين (5) « فالبربر هي تحريف لكلمة فافاري السنكريتية ، في رأي البعض كان الرومانيون يطلقونها بإحتقار علىغير الرومانيين من بقية الشعوب الأجنبية ، ثم

1- محمد شفيق ، لمحة عن ثلثة و ثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين . الرباط : دار الكلام للنشر و التوزيع ، 1989 ، ص 8 .

2- نفس المصدر الأنف الذكر ، ص 11.

3- M.A HADDADOU , GUIDE DE CULTURE ET DE LANGUE BERBERE . NP : ENA - ENAP , ND , P 20 .

4- MARC ECREMENT , INDEPENDENCE POLITIQUE ET LIBERATION ECONOMIQUE . ALGERIE : ENAP - OPU ET GRENOBLE : PUG , 1986 , P 337 .

5- MICHEL MOURRE , BERBERES . IN : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE D'HISTOIRE , TOME 1 , FRANCE : PRESSE DE L' IMPRIMERIE BERGER LEVAULT , 1989 , P 543 .

سموا بها على الخصوص شعب الأمازيغ ، و الأمازيغ هو إسمهم في الحقيقة منذ الأزمنة القديمة و قبل ظهور الرومان ." (1)

يذهب البعض إلى حد القول أنهم كانوا يشكلون حضارة قائمة بذاتها ، ميزت فترة من فترات التاريخ المغربي بصفة عامة و الجزائر بصفة خاصة ، غير أنها لم تعمر طويلا ، مما يفسر عدم إهتمام الباحثين بها .

" إن الحضارة الأمازيغية لم تكن أبدا محط دراسة و تحليل من طرف باحثين في مجال المؤسسات السياسية و الوقائع الإجتماعية القديمة ، كما أنها لم تدرس في الجامعات المغربية على أنها حضارة مستقلة ، بل حتى و إن و جدوا فإنهم يتناولون بعض الجوانب فقط من الحضارة الأمازيغية ، بل في فترة ما بعد الإسلام ." (2)

إن السكان الأصليين لمنطقة الشمال الإفريقي لقبوا أنفسهم بالأمازيغ ، و ذلك إستنادا إلى المعاني التي أنسبوها هم ذاتهم لهذا المصطلح ، " فقديما كانت الشعوب قليلة التواصل بينها ، و كانت تعتبر أن من لا يفصح عن ما يريد في لغتها هي لا يمكن أن ينعت إلا بالعجمة ... و لذلك كان للعرب عجمهم و لليونان عجمهم هم البارباري ." (3)

إن الكتاب الإغريق و اللاتين يطلقون اسم الأمازيغيين على الأفارقة بحيث يصنفونهم إلى ليبيين ، و موريين ، ذلك إنطلاقا من المشرق إلى المغرب (4) ، و على هذا الأساس يكون الأهالي الجزائريون أمازيغ من قبائل

1- عبد الله إبراهيم ، صمود وسط الإعصار . ط 2 ، المغرب : مطبعة النجاح الجديدة ، 1976 ، ص 66 ، نقلا عن :
BAUMANN ET WESTERMANN , LES PEUPLES ET LES CIVILISATIONS DE L'AFRIQUE . NP, ND .

2- أحمد زاهد ، " طبيعة الحضارة الأمازيغية " . جريدة تامونت . العدد 11 (يونيو) ، 1997 ، ص 8 .

3- شفيق ، مرجع سابق ، ص 15.

4- CESAR JULES , GUERRE D'AFRIQUE . (TRADUIT PAR A . BOUVERT), FRANCE : LES BELLES LETTRES , 1949, P 04 .

نوميدية ، و تكون بذلك جغرافية المنطقة البربرية ، ذلك الجزء من الكوكب الذي يشغله البربر ، فهي تنطلق من الساحل الأطلسي إلى سيرتا الكبيرة ، علما أن البربر الذين يقطنونها لا يختلفون فيما بينهم إلا في الخصائص الجهوية (1) ، لتكون الصفات التي تجمعهم أكبر حجم بكثير .

" فالقرية كانت هي الإطار العادي لمعيشة المستقرين أكثر من المدينة ... لإنا لا نعرف في أي عصر إنتظمت الممالك الأولى ، و أقدمها قد تكون مملكة بارباس في القرن الخامس ، العاهل الذي أراد أن يتزوج من ديدون حسب أسطورة بناء قرطاجة . و يتردد الكلام كذلك على ملك موري و أن شخص إسمه إيليماس ملك الليبيين . و من بين الرؤساء الأوائل للماصيل يرد ذكرنا رافاس الذي كان يقود النوميديين في أراضي خارج أملاك قرطاجة و كانت المملكة الماصيلية موحدة إبتداءا من القرن الرابع . سجل في القرن الثالث كونفيديراليتين على أراضي الجزائر الحالية : مملكة الماصيصيل و مملكة الماصيل ." (2)

هكذا إستمرت تسمية بارباري في التداول على هؤلاء السكان الأصليون لبلاد الشمال الإفريقي ، لتتحول عند الفتح الإسلامي إلى كلمة بربر ، و لتتواصل على هذا الحال إلى غاية يومنا هذا ، في الوقت الذي يرى فيه آخرون أن هذه التسمية ما هي إلا عار إلتصق بالسكان الأصليين لهذه المنطقة ، منادين بأن البربر من أصل عربي ، ليست لهم أية أصول خاصة بهم . " إن البربر عرب في أصولهم ، عرب في لهجاتهم ، عرب في مشاعرهم و أن صفة بربري هي سبة . " (3)

1- IHAOUSSANE MTOUGGIN , VUE GENERALE DE L'HISTOIRE BERBERE . ALGERIE : LA MAISON DES LIVRES , ND , P 6 .

2- محفوظ قداش ، الجزائر في العصور القديمة . (ترجمة صالح عباد) ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص ص 60-63 .

3- عثمان سعدي ، عروبة الجزائر عبر التاريخ . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982 ، ص 114 .

هذا الطرح يستدعينا إلى الإستدلال بكتابات العلامة عبد الرحمان بن خلدون ، الذي بحث في موضوع الأصول التاريخية للبربر ليردها إلى مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح (1) ، علما أن نوح له ثلاثة أبناء :

" ...ثم إتفق النسابيون و نقله المفسرين على أن ولد نوح الذين تفرعت الأمم منهم ثلاثة : سام و حام و يافث ، ... و أن يافث أكبرهم ، و حام الأصغر ، و سام الأوسط ." (2)

إن البرابرة عناصر بشرية قدمت كلها مهاجرة من قارة أسيا مخترقة كل من أراضي مصر و ليبيا ، فالبربر إذن هم أبناء عم العرب ، لهذا

" يمكننا أن نؤكد تأكيدا لا يقبل الريب ، إعتمادا على أشهر النسابيين العرب و البربر و الصادقين من الأوروبيين ، بأن البربر عنصر آسيوي من أرومة كنعان ، و أنهم هاجروا بلادهم في فجر التاريخ و استقروا حينا بمصر ، و أخذوا عن قدماء المصريين بعض تقاليدهم الدينية و بعض آلهتهم مثل عمون ، و لربما قدم معهم بعض الفلاحين المصريين ." (3)

على هذا الأساس ، و على الرغم من وجود طروحات تنسب البربر إلى فصيلة الشعوب غير العربية من أولاد سام ، إلا أن المتفق عليه أنهم أبناء عم العرب من حام بن نوح " ... و الصحيح أنهم من كنعان بن حام ." (4)

1-أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر . ط2 ، الجزائر : دار الكتاب ، 1382-1963 ، ص 97 .
2- عبد الرحمان بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . المجلد الثاني ، ط 2 ، لبنان : دار الكتب العلمية ، 1992 ، ص 9 .
3- المدني ، مرجع سابق ، ص 98 .
4 - بن خلدون ، مرجع سابق ، ص 11 .

" فشدة التشابه العرقي و اللغوي و الثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية و الشعوب الناطقة باللغات السامية ... جعل بعض الباحثين يرجحون أن هاتين المجموعتين عاشتا في موضع واحد و ربما تنتميان في أصولها إلى شعب واحد ." (1)

في الوقت نفسه ، لا يمكن أن نتغاضى عن الأراء المناقضة لهذا الطرح ، و التي لا يمكننا إعتبارها سوى محاولات فكرية ، تسعى لخدمة بعض الإتجاهات السياسية البحتة لبعض الكتاب و المؤلفين ، تلك الداعية في شكلها و مضمونها إلى أن البربر عنصر جرماني ، أو أنه عنصر من أصل لاتيني ، لا بد من ربطه بالعنصر الأوروبي ليبقى تابعا له ، حتى و إن إبتعد عنه إقليميا ، وسيلة ذكية يتبناها هؤلاء لجعل شعوب المغرب العربي الكبير في خدمة مطامح أوروبا المتسلطة التي تحاول بكل الطرق الممكنة أن تكسب بعض الورقات الإيديولوجية لهذه الشعوب ، التي تمكنها من التحكم فيها و تحريكها وفقا لما يتوافق و مصالحها الإستغلالية ، حتى و إن كان ذلك عن بعد ، ضمانا لبقائها .

تلك هي الأفكار التي باتت بمرور الزمن راسخة في أذهان البعض من العناصر ذات النزعة البربرية في الجزائر ، حيث يرجع الفضل في ذلك إلى المجهودات التي قامت بها فرنسا الإستعمارية في هذا المجال ، مستعملة طرقا و أساليب مختلفة ، الأمر الذي سنوضحه بالتفصيل في الفصل القادم من هذا البحث .

ب / أقسام البربر : ينقسم العنصر البربري عموما إلى فرعين أساسيين (*) و هم : البرانس و المادغيس أو البتر (أي أبناء مادغيس الذي يلقب بالأبتر) .

1- العرب و إفريقيا . مركز دراسات الوحدة العربية : بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي . ط2 ، لبنان : بدون دار نشر ، (يناير) ، 1987 ، ص ص 27-28 .

*- كلا الفرعين من أبناء مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح .

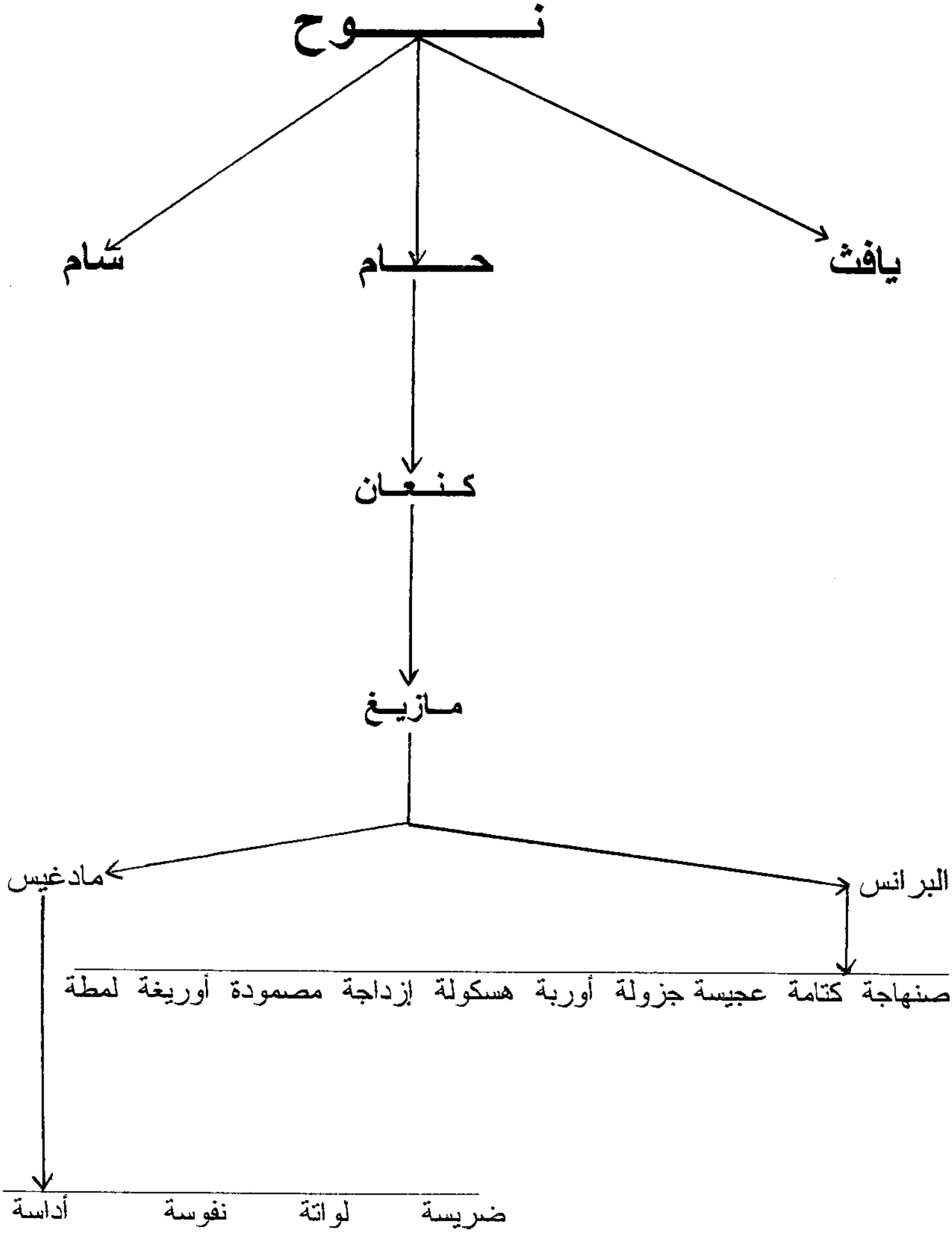
يتفرع هاذين القسمين بدورهما إلى فروع تتشكل منها القبائل فيما بعد ، فقسم البرانس مثلا تنبثق عنه فروع كثيرة ، تجمعهم عشرة أصول و هي كالتالي : صنهاجة ، كتامة ، عجيسة ، أوربة ، إزداجة مصمودة ، أوريغة ، لمطة ، جزولة ، هسكورة ، و أما قسم المادغيس أو البتر ، فهم ينتشرون بدورهم عبر فروع تجمعهم أربعة أصول و هي : ضريسة ، لواتة ، نفوسة ، أداسة ، موضيحين بأن أغلبية القبائل البربرية المتواجدة على الأراضي الجزائرية هي من قبائل أصل البرانس . (1)

إن البعض من هذه الفروع المتواجدة بالجزائر يطلق عليها اليوم إسم القبائل ، و السر في ذلك – حسب ما يتداول على الألسنة – يكمن في قبولها لإستعمال اللغة العربية و إعتناقها للديانة الإسلامية .

نفتح قوسين في هذا الباب لنذكر أنه علينا أن لا نغفل على التسليم بأن هذه القبائل بفروعها المختلفة في الجزائر ، ليست أقلية و لا يمكنها أن تكون كذلك ، مما يدفعنا إلى الإبتعاد عن كل طرح من شأنه إعتبار المسألة البربرية في الجزائر مسألة أقليات عرقية ، علما أن هذه العناصر البشرية قد إختلطت بالسلالة العربية مباشرة بعد الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي ممتزجة فيما بينها ، لينشأ على إثرها جيل جديد من البرابرة المستعربين ، هم السكان الحاليين لبلاد الجزائر .

كخلاصة نهائية للبحث في الأصول الأولى للعنصر البربري قمنا بمحاولة رسم تخطيطي من شأنه أن يوضحها تفصيلا ، ليكون أفضل ترجمة بيانية لأصول هذه السلالة و فروعها و هذا وفقا لما إتفق عليه النسابيون ، كما سبق و أن قيل من قبل ، معتمدين في كل إستنتاجاتنا التي مكنتنا من رسم هذا الشكل ، على قراءاتنا المختلفة للكتابات المتضمنة تاريخ و أصول السلالة البشرية :

1- المدني ، مرجع سابق ، ص 98 .


نــــــوح
سام
حــــــام
يافث
كـنــعـان
مــازيــغ
مادغيس
البرانس
صنهاجة كتامة عجيسة جزولة أوربة هسكولة إزداجة مصمودة أوريغة لمطة
ضريسة لواتة نفوسة أداسة

ثانيا : طبيعة و مميزات الشخصية البربرية .

إن العنصر البربري هو الذي إستوطن كامل شمال إفرقيا منذ عصور قديمة جدا ، لم يستطع البحث إكتشاف مجاهلها ، فهو العنصر البشري الذي عرف الشمال الإفريقي لما عرف التاريخ هذه المنطقة الجغرافية ، و ذلك إستنادا إلى الأبحاث و الكتابات المتعلقة بالموضوع .

كان أهل البربر يعيشون على نظام العائلة و القبيلة ، لم يكن لهم دين عمومي ، إذ كانت كل عائلة تختار لنفسها ربا تعبده ، هم رعاة ماشية و يعيشون منها ، معتمدين أساسا على زراعة التين و الزيتون ، التي لا زالت مصدر رزق لدى الكثير منهم لحد الساعة ، هذا إضافة إلى أنهم يمتازون بخاصية الأفارقة عامة ، إذ لديهم القابلية للخضوع لدين الغالب و ثقافته ، الشيء الذي يمثل دعوة واضحة للإستقبال و التلقي .(1)

ما يميزهم أنهم ذوو عصبية أسرية تمتد من الجماعات القروية إلى القبيلة إلى أن تشكل الصراعات الجهوية جمهوريات أوليغارشية صغيرة (2) ، و بذلك يكون التماسك بين القبائل البربرية فكرة مستنبطة من هذا التنظيم السياسي و الإجتماعي الذي يجعلها مرتبطة فيما بينها .

" فبالنسبة إلى مجتمع تاريخي فإن دفاعه عن أسلوب حياته هو دفاع عن شخصيته و عن مبدأ إدماج أفراده في نطاقه و تحديد علاقتهم به ، بحيث يصبحون بمثابة التعريف به ، كما يصبح مجتمعهم بمثابة المعرف لهم ." (3)

لهم مميزات خاصة بهم ، فهم كرماء ، أسخاء ، شجعان ، صعباء الإقتناع ، يحبون الحرية ، إذ لا يتحملون السلطة عليهم بالإكراه ، الأمر الذي لا يمنعهم من طاعة شيخ

1- العرب و إفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سابق ، ص 76.
2- MTOUGGIN , OP-CIT , PP 10-12 .
3- مالك بن نبي ، أفاق جزائرية للحضارة للثقافة و المفهومية . (ترجمة الطيب شريف) ، الجزائر : مكتبة النهضة الجزائرية ، بدون تاريخ ، ص 134 .

قبيلتهم ، هم متعلقون بأرضهم و لا ينقطعون عنها حتى و لو إبتعدوا عنها ، فهي تظل أرضهم و بلادهم مهما كانت المسافة التي تفصلهم عنها .

من أهم صفاتهم أنهم مقتصدون للغاية ، يحبذون الإدخار ، حيث تظل هذه الصفة هي التي تجعلهم يختلفون نوعا ما عن أهل العرب ، فهم يخالطون و لا يختلطون ، يندمجون مع المجتمعات الأخرى إذا هاجروا إلى بلدان أخرى و لكن العكس غير صحيح ، صبورون على المشاق من أجل كسب الرزق و إمتلاك الأرض بمسقط رأسهم ، بينما يمتازون أيضا بالحقد الشديد و بعدم الصبر على الأذى ، إذ إعتادوا على الأخذ بالثأر إذا ما إعتدى عليهم أو على أهلهم ، لما يمتازون به من روح الإنتقام حتى و لو طال الزمن .

يخضع البربر لنظام العائلة ، حيث أن مجموع العائلات التي تنتمي إلى أصل واحد تعطي وحدة عائلية تسمى بالخروبة تخضع لسلطة الكبير في العائلة ، و مجموع الخروبات يؤلف بدوره القبيلة أو الدشرة ، و تسمى كل واحدة منها بأصلها ، مثلا آث مقران أي أهل مقران ، أو آيت وعلي أي أهل وعلي ، كما أن مجموع القبائل يؤلف الصف .

يمتازون أيضا بإكتسابهم لمجالس محلية عرفية ، تعرف بمجالس الجماعة ، أعضاؤها يلقبون بالضمان (*) ، سلطتها واسعة في مجال التسيير بأنواعه ، و الجماعة لها رئيسا ينتخب يقوم بدور الرئيس في التسيير ، يدعى الكبير أو الإمرار (1) ، و هو المكلف بتنفيذ قرارات أعضاء المجلس .

أما عن القبائل البربرية المتمسكة بالدين الإسلامي ، فهي متينة في دينها جاعلة إياه إعتقادا راسخا ، و أسلوبا إجتماعيا يضبط حياتها اليومية ، في حين تبقى القبائل البربرية التي تركت أحكام الدين الإسلامي تستند في أحكامها إلى قوانينها الخاصة ، و خير دليل على ذلك هي قضية الميراث التي تظل المرأة في ظل هذه القبائل محرومة منه حرمانا كبيرا ، عكس القبائل المرابطة أي تلك المطبقة لأحكام الشريعة الإسلامية ، و التي تعطي المرأة نصيبها في الميراث وفقا لما ينص عليه الكتاب السماوي المقدس .

---

*- و هي جمع ضامن .

1- المدني ، مرجع سابق ، ص ص 99-103 .

المبحث الثاني : البربر في الجزائر عبر الحضارات المختلفة .

لقد عرفت هذه السلالة بصفتها أول عنصر بشري شغل الشمال الإفريقي ، تعاقب حضارات غنية ، قابلتها بالتحالف تارة و بالقتال تارة أخرى ، إلا أنها حافظت على خصائصها على الرغم من طيلة المدة التي شغلتها هذه الحضارات الغريبة عنها بأراضيها .

أولا : التواجد البربري في الجزائر حتى الفتوحات الإسلامية .

إن الكنعانيين سكان فينيقيا هم أبناء عم البربر و العرب كما سبق و ان وضحنا من قبل ، أول من عرف بلاد الجزائر و سائر شمال إفريقيا و ربطها ببقة العالم ، غير أن مجيء الرومان سحق وجود القرطاجيين (الفينيقيين) ليتسلط على المنطقة ، وذلك حتى دخول الوندال الذين سحقهم الروم ، علما أن هذه السلالات حملت بين طياتها حضارات يشهد على أوجها التاريخ ، إذ لا زالت آثارها قائمة لحد الساعة ، تشهد عليها بدورها البعض من ساحات المدن الجزائرية الحالية .

" إنه لقبل مجيء القرطاجيين كان العالم البربري منفتحا على الحضارة . سبق تنظيم المجتمع البربري كذلك قرطاجة بقرون عديدة ، فالعائلة و القرية و ربما المدينة كانت حقائق في البلاد إبتداءا من نهاية النيوليتي ، فقد مسك أغاليد بأيديهم مصير كونفيديراليات كثيرة لقبائل و ممالك بربرية فكانت مصيصيليا أوليها ، و يمكن إعتبار تشكيل الممالك البربرية شكلا من أشكال المعارضة و المقاومة للقرطاجيين ." (1)

كان اليونان يطلقون إسم برباري على من وجدوهم بالشمال الإفريقي و على غيرهم من الشعوب بدءا باللاتينيين ، بعد ذلك ورثها عنهم الرومان ، حيث أصبحوا بدورهم يطلقون هذا الإسم كل شعب خارج عن المجال الحضاري اليوناني اللاتيني – علما أن جل القبائل البربرية ظلت خارج المناطق الشمالية الخاضعة للنفوذ الروماني ، أي المناطق الحضارية –

1- قداش ، مرجع سابق ، ص 57 .

فقد لازمهم اسم البـــاربـاري في العهد البيزنطي ، ورثة الإمبراطورية الرومانية " ... ذلك أن الوندال لم يكن يعنيهم من أمر الأرض و الفلاحين سوى حاجـاتهم من الغذاء و الثورة و إستتباب الأمن في البلاد و إن لم ينعموا به كثيرا ... أمـا البيزنطيون ، فقد إعتبروا وجودهم بالمغرب إعادة فتح روماني له و تحريره من أيدي البرابرة الوندال و ممالك البربر القوية ." (1)

ما يمكننا ملاحظته هو تواكب حضارات إختلفت في أشكالها و عصورها ، بدءا من اليونان حتى الروم ، حيث ظل العنصر الـبربري خـلال هذه الأشواط كلها عجم هذه الشعوب التي تحالف مع البعض منهـا تـارة ليؤلفوا معا قوة يواجهون بها قوة أخرى تريد الإستيلاء عليهم ، و تصـارع مـع بعضـهـا الآخر تارة أخرى محاولا إثبات وجـوده و إسـترجاع أراضيـه المغتصبـة ، فـي وقت بقي فيه طيلة هـــذه الحقـبات الــتاريخية محافظا على النظـام الإجتمـاعي و السياسي القبلي ، مراعيا أسلوبه البدوي في الحيـاة ، و متزمتـا بلهجاتـه الـتي تختلف من قبيلة إلى أخرى ، الشيء الذي يفسر لنا سر عدم إنصـهاره داخل هذه الحضـارات الكبيرة ، عكس ما سوف يحدث مـع العـرب الفـاتحين ، متيقنـا أنـهـا حضارات غريبة عنه في أشكالها و مضامينها ، لا تمت لـه بصلـة البتـة ، و لا تشاطره لا عادات و لا تقاليد و لا تنظيم ، بل و لا يمكنها إحتضانه .

أما عند الفتح الإسلامي (2) ، فقد أخـذ العـرب عـن الـروم كلمة باربـاري و جعلوها بربر ، حيــث أبـــقى الأوروبـــيون على هذه التســمية و أطلقوها بعد ذلك على جميع سكان إفريقيا الشمالية ، و هـذا إلـى غايـة أوائـل القرن التاسع عشر ، أين إستغلوها لأغراض سياسية أخرى .

1- د محمد البشير شنتي ، " وضعية الأرض و طرق إستغلالها في بلاد المغرب . العهـد الـــروماني ، بداية الإسلامي ". <u>حوليــات جامــــعة الـــجزائـــر</u> ، العـدد الخـامس ، 1990-1991 ، ص 111 .

2- " حينما طرد العرب الرومان ، وجدوا أنفسهم أمام السكان الحقيقيين لهذه الأرض ، ألا و هم البربر ، هؤلاء الذيـــن لم يتمكنوا من التعرف عليهم عبر غزواتـــهم السريعة ، إلا قليلا ." **أنظر :**

HENRI FUORNEL , <u>LES BERBERES : ETUDE SUR LA CONQUETE DE L'AFRIQUE PAR LES ARABES</u> . TOME 1 , FRANCE : IMPRIMERIE NATIONALE , ND , PP 21-22 .

ثانيا : أسلمة و تعريب البربر في الجزائر .

نحط الرحال الآن بأهم مرحلة سمحت بأسلمة و تعريب البربر في الجزائر ، تلك العملية التي تمت بفضل خروج العرب من جزيرتهم للفتح و الهداية بإسم القرآن الكريم لإخراج الشعوب من الظلمات و الطغيان إلى نور الإسلام ، دين و تنظيم اجتماعي و سياسي ، من شأنه أن يقضي على الفوضى و الفساد اللذان كانا يطبعان أغلب الشعوب غير المسلمة ، ففتحوا بذلك بلاد المغرب سنة 667 هجري (*) ، حيث وجدوا البربر مصطبغين بالصفات الكنعانية ، فوقع تصادم طبيعي بينهم في أول الأمر ، إذ قتل كسيلة عقبة بن نافع ، مما جعل البربر يعتصمون بجبل الأوراس خوفا من العرب الفاتحين ، حيث كانت الكاهنة أميرة عليهم ، و هي زعيمة بمنطقة الأوراس لقبيلة تسمى جراوة ، سعت في سبيل إبعاد الأهالي البربر عن الإسلام ، سار نحوها حسان بن النعمان بعد أن دمر سلطان الروم منتصرا عليها في آخر الأمر (1) ، لتختلف الأمور فيما بعد إعتناق الإسلام بتغير نظرة هذا الشعب للأمور لتصبح بلاد المغرب حامية عسكرية له ، قائدها هو طارق بن زياد :

> **" فقد أمد الإسلام العرب بسياج ديني و فكري ... و كانت الطرق التي سلكها العرب المسلمون إلى القارة الإفريقية هي الطرق نفسها التي سار عليها أجدادهم من قبل ، من أجل التجارة أو الهجرة ... و عليه أعطى الإسلام هذه العلائق بعدا عقائديا ، و أعطتها اللغة العربية محتوا لغويا و ثقافيا ... و أصبح الشمال الإفريقي و سودان وادي النيل جزءا لا يتجزء من الأمة العربية ... و ما أن رسخت أسس العقيدة الإسلامية ... حتى إتخذ مواطنون إفريقيون من بربر و النوبة و القالا و من الأفارقة السود بزمام المبادرة ، و صاروا يدعون للإسلام بين مواطنيهم بحركة يغلب عليها السلم ."** (2)

*- كان أمير المؤمنين في ذلك الوقت هو عثمان بن عفان .

1- المدني ، مرجع سابق ، ص 22.

2- العرب و إفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سابق ، ص ص 28-29 .

أ/ تأسيس الدولة الإسلامية البربرية : تأسست أول دولة إسلامية بربرية بالأراضي الجزائرية و هي الدولة الرستمية على يد عبد الرحمان بن رستم سنة 160 هجري بتيهرت ، و هي دولة إباضية قبائلها المؤسسين بربريين مسلمين ، تمسكوا بالمذهب الإسلامي الإباضي ، تولى أمرها ستة أئمة ، إفتخرت بها الجزائر لما حققته من نمو ، سيما في مجال خدمة الأرض ، هذا في منطقة الغرب الجزائري ، بينما في منطقة الشرق ، فقد تأسست الدولة الأغلبية سنة 184 هجري بمنطقة الزاب (*) ، و هي دولة إسلامية بربرية تساوى فيها البربر و العرب في الحقوق و الواجبات ، سيما و قد عرفت بدولة العدل و الإنصاف ، حضارتها هامة عرفت أوجها ، أغلب أبناءها كانوا عناصر بربرية و قلة من الجاليات العربية ، تعايشوا فيما بينهم في جو من التآخي السلمي .

عرفت أيضا بلاد الجزائر الإدارة الفاطمية الشيعية ، التي بثت دعوتها في قبائل كتامة التي تسكن أغلب أقسام الزاب الأعلى ، حيث إكتسبت الجزائر في ظل الدولة الفاطمية أسطولا بحريا هاما ، بنى مؤسسوها البربر حضارتهم على أساس التجارة البحرية ، و إتخذوا المهدية عاصمة لهم .

تلتها دولة المسيلة ، لتصبح هذه المدينة عاصمة إسلامية كبيرة إشتهرت بالعلم و الشعر ، إلى أن تأسست الدولة الصنهاجية (علما أن صنهاجة قبائل بربرية) بتونس ، ليؤسس على إثرها حماد الصنهاجي بمدينة القلعة دولة بني حماد الكبرى ، حيث تعرف بقاياها اليوم بقلعة بني حماد ، شملت كل أنحاء بلاد الجزائر الحالية ، و هي دولة إسلامية بربرية بحتة ، دينها الإسلام و لغتها العربية .

في هذا المقام لا بد من الإشارة إلى أن في هذه الفترة بالذات دخل العرب الهلاليون ، و هم قبائل عربية قدموا من الصعيد المصري ليستقروا بالأراضي الجزائرية ، فحطموا الحضارة القائمة ، و ذلك بالنظر إلى عاداتهم

*- كانت تمتد بلاد الزاب من بجاية على البحر المتوسط إلى غاية الصحراء ، حيث كانت تشمل غربا مسيلة و بوسعادة .

الصعيدية و طبعهم العنيف ، الأمر الذي بقي التاريخ يشهد له إلى غاية يومنا هذا ، إلا أن ما يهمنا نحن في بحثنا هذا هو التأكيد على أن دخول هذه القبائل العربية هو الذي طبع البلاد الجزائرية بالطابع العربي ، سيما بعد إتخاذها للجزائر وطنا لها ، فرسخت على إثر ذلك العقلية العربية بهذه البلاد و كذا اللسان العربي ، و هذا على الرغم من المجابهات العنيفة التي واجهت البربر الحماديون بهذه القبائل الهلالية العربية .

تأسست بعد ذلك الدولة الموحدية بتونس ، و تم فتح الجزائر كلها لتصبح دولة موحدية ، توحد بين السكان في كل شيء ، حيث تمازج في ظلها العرب الهلاليون بالسلالة البربرية ليشكلوا جسما واحدا إبتعد عن القتال و التناحر ، لتحل الدولة الزيانية في آخر المطاف بالأراضي الجزائرية و بالضبط في منطقة تلمسان ، إلى غاية إستيلاء القوات الإسبانية على السواحل الجزائرية مرتكبة الجرائم ، مقتلة و مذبحة ، الأمر الذي دعا الأهالي الجزائريين للإستنجاد بالأسطول العثماني حيث إشتعلت الحروب بين النصرانية الإسبانية و الإسلام الممثل عن طريق الأتراك ، الأمر الذي قضى على الدولة الزيانية ، و إنتهى بإستقرار الخلافة العثمانية بالجزائر . (1)

إختلطت إذن السلالات بعد موجة الفتوحات الإسلامية للشمال الإفريقي و بذلك تعرب البربر ، فلعبوا دورا هاما في تاريخ المنطقة بظهور الجيل الجديد من البربر المسلمين المعربين ، متخذين الإسلام دينا لهم و العربية لسانا لهم ، مندمجين فيما بينهم غير عابئين إطلاقا بتباين أصولهم :

> **" و على مسرح الإسلام ، دخل البربر إلى التاريخ الحضاري من بابه الكبير ، فإسترجعوا مؤقتا بعض السبق الذي كانوا حققوه على شعوب أوروبا طيلة ألفية قرطاجنة ، و بعضا من العصر الروماني ... و خلقوا حضارة ، تحمل فضائلهم الكبرى و عيوبهم المتأصلة و تنعكس فيها على العموم خطوط شخصيتهم بعناصرها الجدلية كما صهرتها الجغرافية و رتبها التاريخ ."** (2)

1- المدني ، <u>مرجع سابق</u> ، ص ص 20-35 .

2- إبراهيم ، <u>مرجع سابق</u> ، ص ص 68-69 .

في هذا المضمون نتساءل عن أهم العوامل التي ساعدت على نجاح الجذور الثقافية العربية العميقة في الشمال الإفريقي بصفة عامة و في الجزائر بصفة خاصة ، بصيغة أخرى ، لماذا إستطاعت الشعوب الأخرى الإحتفاظ بقوميتها بينما بقي الأمازيغ مندمجين مع العرب ؟

إن الإجابة على هذا التساؤل تقودنا إلى الحديث ثانية عن فترة دخول العرب إلى الشمال الإفريقي أين تمت عملية أسلمة و تعريب العنصر البربري ، مسلمين (بكسر اللام) أن العرب ما هم سوى مادة الإسلام ، " و لعل سرعة إنتشار الإسلام ترجع إلى محافظته على الشخصية الإفريقية ، بما أن إعتناق القبائل الإفريقية للدين الإسلامي لم يحطم أنظمتها القبلية ، و إنما حافظ عليها بعد وضعها في إطار إسلامي ." (1)

لقد كانت هذه الصفة عاملا أساسيا من عوامل نجاح عملية الإندماج ، حيث أنها لا تقل أهمية عن تلك التي ترجع إلى أصل البربر (بن حام) و الإحساس الدائم بضرورة الإنتماء إلى حضارة أكبر و أعظم ، الشيء الذي حدث مع دخول العرب الفاتحين إلى الشمال الإفريقي ، حاملين راية حضارة عربية إسلامية عظيمة ، جعلت للعربية جذورا عميقة في وجدان المغاربة الديني ، و في ضميرهم الأخلاقي ، و كذا في إرتباطاتهم العاطفية بصفة عامة ، مثلت و لازالت تمثل بالنسبة إليهم جزءا من هويتهم كشعب . (2)

فالعلاقة بين الإثنين إذن هي علاقة الجزء بالكل ، بحيث لا ثقل للأول في حضور الثاني ، و لا مجال لإستقلالية الجزء عن الكل .

نقف هنا لحظة تمعن ، لنقول أن السلالة البربرية قد ثبت إختلاطها بالسلالة العربية ، و ذلك في الفترة التي تمت فيها أسلمتها ، فهل أن هذا الأمر يدعونا إلى التسليم بأن البربر عرب في أصولهم كما

1- جمال زكريا قاسم ، العرب و إفريقيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، مرجع سابق ، ص 52.
2- إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 105 .

يرجح الكثير من الباحثين ؟ طبعا لا نستطيع إقرار ذلك لأن الدلائل التاريخية المثبتة له غير قائمة ، و عليه تكون خلاصة الفكرة أن السكان الأصليون للشمال الإفريقي هم عناصر بشرية من قبائل بربرية ، إنصهروا بمرور الزمن و إندمجوا بالعناصر البشرية العربية التي قدمت فاتحة للمنطقة ، حيث شكلوا جيلا جديدا هم سكان الجزائر الحاليين إلى جانب الجاليات العربية الأخرى ، و هم ينقسمون إلى الكتل التالية (1) :

- الكتلة البربرية التي تشغل منطقة الجرجرة (بلاد القبائل الكبرى) ، و قد فقد أهلها العربية نوعا ما نظرا للدور الذي لعبه المستعمر في المنطقة (كما سنراه مفصلا في الفصل المقبل) ،

- قبائل بربرية إباضية ، متمسكة بالدين الإسلامي بصفة شديدة ، و هي متمركزة في منطقة بني ميزاب ، أخذت من العربية نصيبا مع عدم نسيانها للبربرية التي لا زالت تستعملها فيما بينها ،

- قسم بربري تعرب كلية و نسي البربرية تماما ،

- قبائل بربرية متفرقة عبر أنحاء القطر الجزائري .

كخلاصة قول عن هذا الفصل ، نقول أن العنصر البربري هو العنصر البشري الأصلي لمنطقة الشمال الإفريقي عامة و للجزائر خاصة ، هاجر من آسيا عابرا مصر و ليبيا ليحط الرحال و يستقر بأراضيها ، عنصر هو أثبتت الأبحاث و الكتابات أنه من أرومة مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح ليكون بذلك البربر أبناء عم العرب ، يشاركونهم خصائص عدة و تجمعهم صفات كثيرة : **" كان البربر مثل العرب يحبون الإستقلال ، و كانوا معا رعاة متجولين ، و لكلا الفريقين آمالا واحدة ، و عواطف واحدة ، شركاء في حب الفخر و تعشق الحرية ، و إحترام الضيوف و إكرامهم ، و أن هذا =**

1- المدني ، <u>مرجع سابق</u> ، ص ص 120-121 .

= الإشتراك في العواطف و الأخلاق ، قد كسر الحواجز التي لم يستطع إختراقها لا الرومان و لا الوندال و لا الروم ، و أصبح البربر أشد رجال الجند الإسلامي ." (1)

إن محافظة العرب الفاتحين على الطابع التقليدي الأسري للقبائل البربرية ، إستنادا إلى الروح الأخوية التي تحملها معالم الحضارة الإسلامية ، هو الذي سمح بإندماج السلالتين مع بعضهما البعض ليتعايشا في إطار سلمي سنين طويلة ، الأمر الذي إختلف مع الحضارات التي سبق و أن مرت بشمال القارة الإفريقية من قبل ، و التي لم تكن لتحافظ على مكتسباتهم المحددة لكيانهم و شخصيتهم ، إلا أن الهجمات الخاصة بقبائل بنو هلال على بلاد الجزائر ، تلك التي دمرت من خلالها الكثير ، مرتكبة المجازر في حق الأهالي بالتقتيل و التخريب و الحرق ، مثلت إستثناءا ظرفيا ، تمكن الأهالي الجزائريين من بربر و عرب من إحتوائها لتدخل الأمور في إطار عادي و منتظم ، في الوقت الذي بات فيه بعض المؤرخين ، الذين يسعون إلى تحريف الحقائق التاريخية ، يعمدون إلى التركيز على هذه النقطة بالذات لتشويه سمعة القبائل العربية بصفة عامة ، و بصفة خاصة تلك التي دخلت بلاد الجزائر لتحملها مسؤولية الفساد و ليلصقوا بها طابع الهمجية و الفوضى ، متغاضين عن فحوى الحضارة العربية الإسلامية و دورها في ترقية هذا الشعب الأصيل ، مذكرين أن هذه القبائل لم تحل مستعمرة لأنها جاءت مستوطنة ليست خادمة لحساب عاصمة أجنبية ، و الدليل على ذلك قائما ، ألا و هو إنصهار السلالتين و إمتزاجهما مع بعضهما البعض .

مهما يكن من أمر ، فإن الأهالي الجزائريون من قبائل بربر و عرب ، متفرقين أحيانا و متحدين أحيانا أخرى ، و مهما كانت درجة الوعي الذي تمتعوا به في وقت مضى ، ذاك العامل الذي لعب دورا في تطور أوضاعهم السياسية المحددة لأسلوبهم المعيشي متمسكين تارة بمبادئ متعلقة بشخصيتهم لا زالت راسخة فيهم إلى يومنا هذا ، و مبتعدين تارة أخرى عن

1- المدني ، <u>مرجع سابق</u> ، ص 75 .

البعض الأخر من تقاليدهم البالية و خصائصهم المشهورة ، متمردين في وقت على بعض أنماط الحكم ، و خاضعين في وقت آخر إلى سلطة اخرى لا يتمردون عليها لأسباب ترجع أساسا إلى درجة وعيهم الذي نقصده بالذات ، نظرا لكل هذا نقول أن هؤلاء شكلوا كيانا قوميا واحدا ربطت بين عناصرهم صلات التعايش الأخوي ، بل جامعهم الأكبر تمثل في الوطن المشترك الذي حضن أبناءهم ، و الذي ولد لديهم الإحساس المتبادل بضرورة الدفاع عن حدوده حين دق ناقوس الخطر على أبوابه ، جاعلا بذلك هذا الكيان القومي يشتد قوة و عزيمة ليقف وقفة صامدة في وجه أي خطر ، و كلنا تيقنا و تأكيدا على أن الوازع الديني الإسلامي هو الدافع المشترك الثاني الأكثر فعالية لتحريك هذه الكتلة القومية المتماسكة في الإتجاه المحافظ على مصالحهم المشتركة ، إذ " أن أكثر البربر قد تبنوا لغة الإسلام و تعلموها بسهولة لأنهم كانوا يعرفون الفينيقية التي يمكن إعتبارها الآن مجرد عربية محرفة ، نظرا لأصلها السامي ." (1)

نلتمس من خلال ما سبق أن هذه الأمة متكاملة كانت أراضي المغرب العربي بمثابة البوتقة التي إنصهرت بداخلها أجناس و حضارات مختلفة ، مشكلة شعبا واحدا موحدا ، لغته العربية ، و دينه الإسلام ، و ذلك كنتيجة لتضاعف نزاع الحضارات بهذه المنطقة ، و التي تناقضت من خلالها ثقافات متناقضة ، حيث سلك الأهالي البربر في ظلها مسلك القبائل الرحل متنقلين عبر تاريخهم تحت ضغط الأحداث ، من اللغة الفينيقية كأساس للإتصال مع المدنيات الإنسانية القديمة إلى اللغة اللاتينية ، ثم إلى اللغة العربية الواسعة و من بعدها اللغة الفرنسية التي لا زالت تلازمهم إلى يومنا هذا ، ليس كلغة و لكن كمشروع ثقافي حضاري .

يكون على هذا النحو هذا الفصل قد حضر لنا الأرضية التي ستسمح لنا بتناول صميم القضية التي نحن بصدد البحث فيها ، ألا و هي ظاهرة النزعة البربرية .

1- إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 67 .

الفصل الثاني : النشأة السياسية لظاهرة النزعة البربرية في الجزائر .

بعدما تعرفنا على مفهوم البربر ، و على أهم المراحل التي مروا بها بالجزائر حتى عشية الفتوحات الإسلامية ، لا بد من التعرف الأن على كيفية ظهور ظاهرة النزعة البربرية على الساحة السياسية الوطنية ، لنركز تحليلنا في هذا الفصل على أهم الأساليب و العوامل التي جعلتنا نصفها بالظاهرة الإستعمارية ، متعرفين على كيفية تعامل الحركة الوطنية معها ، و ذلك حتى عشية الثورة التحريرية لسنة 1954 ، و متعرفين على مختلف المسالك و الأساليب التي إعتمدت عليها السلطات الفرنسية الإستعمارية في نشرها للظاهرة و إستخدامها لأغراض سياسية إستراتيجية .

المبحث الأول : بوادر نشأة ظاهرة النزعة البربرية و خلفيات تطورها .

نتعامل مع النزعة البربرية على أساس أنها ظاهرة لأنها ستظهر أحيانا و ستختفي أحيانا أخرى ، فهي لم تظهر مثلا في العهد العثماني و لكنها ظهرت فيما بعد مع ظهور الإستعمار الفرنسي ، إذ بدأت ملامحها الأولى في الأربعينات على يد الوالي العام الفرنسي في الجزائر آنذاك و هو شاتينون (1) ، مكتسبة أصولا فرنسية ، فقد أصدر الوزير الفرنسي شوتان قرارا ينص على أن " العربية لغة أجنبية بالنسبة لجميع الجزائريين و يعتبر تعلمها محاولة عدائية لصبغ الجزائر بالصبغة العربية ." (2)

أولا : إفرازات السياسة العثمانية و مخلفاتها .

مباشرة بعد إستنجاد الأهالي الجزائريون بالقوات العثمانية ، أرست الدولة العثمانية بالجزائر لتصبح مركز القوة داخل البحر الأبيض المتوسط ، إلا أن هذا الوضع لم يستمر طويلا ، إذ كانت الدولة العثمانية آنذاك تظهر خطر هذه الدولة ، " ...فرأت الكنيسة هذه الوحدة الجديدة التي تنسج بين المغرب و الأندلس فخافت من تطورها و لذلك دعا البابا الخامس جميع الدول المسيحية إلى شن حرب صليبية ضد الدولة العثمانية ... فكانت معركة ليبانت يوم 09 أكتوبر 1571 ، التي إنهزمت فيها الجيوش الإسلامية ." (3)

السؤال الذي يطرح الأن ، يدور حول وضعية سكان الجزائر قبل هذه الأحداث ؟ " إن الجزائر في هذه الفترة كانت عبارة عن مجموعة من القبائل يعيش معظمها في تمرد على جميع أنواع الحكم ، بينما إلتف عدد قليل منها حول دولتي كوكو و بني زيان اللتان كانتا تلفظان أنفساهما الأخيرة ." (4)

1- عثمان سعدي ، عروبة الجزائر عبر التاريخ . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982 ، ص ص 114-115-118 .

2- أبو جرة سلطاني ، جذور الصراع في الجزائر . ط2 ، الجزائر : دار الأمة ، 1999 ، ص 81 .

3- محمد العربي الزبيري ، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر ، بدون تاريخ ، ص 37 .

4- نفس المرجع السابق الذكر ، ص ص 38-39 .

لكن ياترى ، هل أن دخول العثمانيين إلى الجزائر لم يحض بأية مجابهة أو مواجهة من طرف الأهالي ؟

نعلم أن عروج و خير الدين بربروس دخلوا بلاد الجزائر مساعدين ، و عليه فما كان عليهم بالقتال ، الأمر الذي لم يمنع من حدوث بعض التمردات التي عرفتها بعض المناطق هنا و هناك و التي لم تدم طويلا ، " بل يمكننا أن نقول أن الإحتلال التركي كان حدا فاصلا لهاتيك الحروب و الفتن الداخلية التي كانت لا تخبو نارها بين مختلف القبائل الكبيرة ، اللهم إذا بعض الحوادث التي كانت تقع أحيانا بين الجنود الأتراك و بين بعض القبائل و النواحي التي تريد أن تنزع للعصيان لسبب من الأسباب ." (1)

في هذا الشأن ، تجدر بنا الإشارة إلى أن العثمانيين لم يتمكنوا من الإندماج بالأوساط الشعبية الجزائرية إلا قليلا ، و ذلك طيلة الفترة التي كانت فيها الجزائر تابعة للدولة العثمانية ، بل إنعزلوا عنها سيما في مجال التسيير ، الأمر الذي أدى إلى قيام الأهالي بتمردات شعبية ، خاصة و قد إنتهج هؤلاء المسيرون أسلوبا قائما على التفرقة و تشجيع الطائفية ، سياسة هدفوا من خلالها إلى القضاء على كل محاولة معارضة ، فتميزت بذلك كل قبيلة بمركزها الإجتماعي و قيمها الحربية الخاصة بها ، و بذلك تضمن السلطة العثمانية الإختلاف بين القبائل ، سيما مع نشوء النزاعات الداخلية بينها من حين لأخر ، الشيء الذي يسمح لهذه السلطة البقاء و التعمير ، علما أن الدولة العثمانية لم تلجأ في سياستها إلى استعمال أسلوب العنف و القوة ضد الأهالي ، و ذلك طيلة تواجدها بالأراضي الجزائرية ، خاصة و أنها تحمل في طياتها معالم الحضارة الإسلامية ، تلك التي حافظ من خلالها الأهالي على خصوصياتهم القبلية ، الشيء الذي يجعل وجودها بالجزائر فتحا و ليس إستعمارا . (2)

كانت العلاقة بين الأتراك الذين قدموا بصفة فردية ، أي هؤلاء الذين لا علاقة لهم بميدان التسيير أو بالممارسة السياسية ، و بين الأهالي

1- أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر . ط2 ، الجزائر : دار الكتاب ، 1382 -1963 ، ص 36 .
2- المرجع السابق الذكر ، ص ص 69-70 .

الجزائريين العرب و البربر ، علاقة أخوية حسنة ، سمحت لهم بالإختلاط مع بعضهم البعض ، منصهرين فيما بينهم ، مكونين جيلا جديدا هو الكوروغلية .

في حين كان لجوء العثمانيين في السلطة إلى تبني الأسلوب السياسي القائم على التفرقة ، كما سبق و أن وضحنا من قبل ، سببا مباشرا في خلق هوة بين السلطة و الأهالي ، بين الحكام و المحكومين ، خلفت نوعا من البغض إتجاه الحكام العثمانيين ، كان سببا مباشرا لسقوط الشعب الجزائري في خدعة فرنسا ، و كأن ذلك كان إنتقاما مباشرا و صريحا للوضع المعيشي ، لتصبح الجزائر مستعمرة فرنسية .

على الرغم من الأوضاع السائدة من جهة ، و السياسة المنتهجة من جهة ثانية ، إلا أن النزعة البربرية لم تكن لتظهر في هذه الفترة من الزمن ، إذ أن المباديء الإسلامية التي جاء بها التنظيم التركي حافظت في شتى أشكالها و مضامينها على الممتلكات الشعبية المتواجدة بالمنطقة ، الأمر الذي يختلف كليا مع ما سوف يحدث مع المستعمر الفرنسي ، خاصة و أن التمردات التي حدثت ضد العثمانيين شملت القبائل العربية و ليس البربرية ، إذ أن خير مثال على ذلك هي تلك التي عرفتها منطقة تلمسان ، و التي لم تعمر طويلا .

ثانيا : دور العامل الإستعماري في خلق ظاهرة النزعة البربيرية .

على ضوء تحليلنا للوضع نهاية الوجود العثماني بالجزائر ، و إستنادا للأوضاع الخارجية السائدة ، المتمثلة عموما في إنتشار التصنيع ، و منه البحث على الموارد الأولية في البلدان الضعيفة ، و خصوصا في محاولة إبعاد الرأي العام الفرنسي عما يجري من أحداث سياسية في فرنسا (رجوع الملوكية لتقاليد الحكم) ، كان إحتلال فرنسا للجزائر عملية استعمارية ذات أبعاد سياسية و إقتصادية ، إكتست طابعا دينيا ، صبغته صليبية بحتة ، فقد كانت تعرف فرنسا أنذاك إهتماما كبيرا بنشر الدين المسيحي ، حيث إتسم ذلك العهد (عهد حكم شارل العاشر) بتكثيف نشاط الإرساليات التبشيرية ، و هو ما عرف بعهد الإحياء الديني ، " ففي يوم 02 مارس سنة 1830 ، قال الملك

شارل العاشر في خطاب العرش " إن العمل الذي سأقوم به ترضية للشرف الأفرنسي ، سيكون بإعانة العلي القدير لفائدة المسيحية كلها " ." (1)

كخلاصة قول عن الوضع في فرنسا قبيل إحتلالها للجزائر ، نقول أن الفلسفة الدينية المناصرة للدين و الكنيسة ، كانت التيار الثقافي و الفكري الذي جاء كرد فعل لعقلانية القرن الثامن عشر (الثورة الصناعية) .

من هنا ، يمكننا أن نقف وقفة تمعن لخلفيات إحتلال فرنسا للجزائر ، الأمر الذي دعاها إلى إستعمال الوازع الديني كوسيلة أساسية تعتمد عليها في سبيل إقتحام المجتمع الجزائري ، حيث نلتمس ذلك من خلال الدور الذي قام به رجال الدين المسيحيون في الجزائر ، سيما ببعض المناطق ، مبتدئين بخرقهم لمعاهدة 05 جويلية 1830 ، تلك التي حررها الجنيرال دوبرمون ووقعها الداي حسين ، القاضية أساسا بإحترام السلطات الفرنسية للأملاك و النساء و الديانة (2) ، و التي ورد صراحة في الفصل الخامس منها أن " إقامة الشعائر الدينية المحمدية تكون حرة و لا يقع أي مساس بحرية السكان من مختلف الطبقات ، و لا بدينهم و لا بأملاكهم و لا بتجارتهم و صناعتهم ، و تحترم نساؤهم . و القائد العام يتعهد بذلك عهد الشرق ." (3)

كما أعلن هذا القائد الفرنسي مباشرة بعد محاصرة مدينة الجزائر ، على أن دخول فرنسا الجزائر هو فتح باب المسيحية لإفريقيا (4) ، الأمر الذي يدل على خرق المعاهدة الممضاة ، ذاك الذي أدى إلى تحويل المستعمر للمساجد و الزوايا و الأوقاف إلى كنائس و تكنات عسكرية ، مؤمنا أنه " يجب أن يكون هناك حسن تدبير في العمل على تنصير العرب ، الذين لا يمكن أن يكونوا فرنسيين إلا إذا تنصروا ." (5)

1- نفس المرجع السابق الذكر ، ص 46 .
2- المجلة الإفريقية . مجلد 6 ، 1862 ، ص ص 153-156 .
3- المدني ، مرجع سابق ، ص 49 .
4- GABRIEL ESQUER , LA PRISE D'ALGER . FRANCE : NP, 1921 , P 320.
5- خديجة بقطاش ، الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1830 إلى 1871 . جامعة الجزائر . معهد العلوم الإجتماعية ، قسم التاريخ ، ص 31 ، نقلا عن : أ.و.ب ، رقم ف 80 ، 1746 .

على هذا الأساس ، سعت الإدارة الإستعمارية جاهدة في سبيل القضاء على الشخصية الجزائرية و الروح الإسلامية ، مستعملة في ذلك وسائل إختلفت في شكلها ، و توحدت في مضمونها ، كإعتمادها مثلا على رجال الطرق و الكنيسة ، إضافة إلى تشجيعها في البداية للتعليم باللغة الفرنسية ثم إنتقالها لتشجيع عملية التجنيس ، هذا إلى جانب إعتمادها إلى حث علماء الدين إلى الدعوة للإصلاح الديني ، و ذلك على غرار الحركة الإصلاحية بالمشرق العربي ، كتلك الزيارة التي خص بها الشيخ محمد عبده الجزائر سنة 1903 ، مصدرا من خلالها مجموعة من الفتاوي ، حاول أن يفسر من خلالها للأهالي أنه بإمكانهم العيش تحت ظل الحكم الفرنسي بما أن الفرنسيين مسيحيين أصحاب كتاب سماوي (الإنجيل) . (1)

قامت فرنسا على إثر ذلك بتوجيه إهتمامها للأهالي البربر (الأهالي غير الناطقين بالعربية) ، فمنعت أبناءهم من تعلم القرآن الكريم بمنعهم تعلم اللغة العربية ، و ذلك حتى تكون عملية تنصيرهم أسهل ما يمكن ، لتنتهج نفس الطريقة التي إعتمدها بالمغرب الأقصى من بعد ، أين عمدت إلى إشعال نار الفتنة بين العرب و البربر، بإصدارها لقانون الظهير البربري المغربي في 16 ماي 1930 ، منادية بوجود عرب يقطنون المدن ، و بربر يشغلون الجبال ، مستعملة نفس الأساليب التي استعملتها مع الشعب الجزائري ، لتحقق هدفها المتمثل في إدماج المغرب في فرنسا .(2)

في نفس الإطار ، عملت فرنسا جاهدة على " تحبيب روح المسيح و تقريبه إلى النفوس ، بالتعليم ، و إقامة المستشفيات ، و فتح الملاجيء و توفير الخدمات الإنسانية ... غلق الزوايا ، بحجة أنها المحرضة على الثورة ، و نفي رجال الدين و إبطال شرعية المواسم الإسلامية ." (3)

1- محمد قنانش ، الحركة الإستقلالية في الجزائرية بين الحربين 1919-1939 . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982 ، ص ص 22-25 .
2- د أحمد بن نعمان ، فرنسا و الأطروحة البربرية (الخلفيات ، الأهداف ، الوسائل و البدائل) . ط2 ، الجزائر : دار الأمة ، 1997 ، ص ص 38-39-40 .
3- بقطاش ، مرجع سابق ، ص 24.

على نفس الوتيرة بدأت فرنسا بعملية تنصير مسجد كتشاوة بالجزائر العاصمة ، ذاك الذي تم تحويله إلى كاتيدرالية القديس فيليب (1) ، حيث أعلن الجنيرال دو روفيقو – حاكم الجزائر آنذاك – مباشرة بعد ذلك ، في مراسلته لوزير الحربية قائلا : " لإنني فخور بهذه النتائج ، فلأول مرة تثبت الكنيسة في بلاد البربر ." (2)

كخطوة تابعة ، إعتمدت السلطات الإستعمارية على مشروع إرسال فرقة اللازاريين إلى الجزائر ، و هي فرقة دينية أسسها القديس فانسا دوبول سنة 1625 ، مهمتها خدمة التبشير الديني ، حيث كلفها الوزير كولبير بتمثيل فرنسا بالجزائر ، و ذلك نظرا للخصائص التي تميزها ، و التي من ضمنها معرفتها الدقيقة لمنطقة الشمال الإفريقي عامة ، و للمجتمع الإسلامي خاصة ، بكل ما يحويانه من عادات و تقاليد ، و من بعدها إرسال فرقة اليسوعيين و هي بدورها فرقة دينية بحتة ، طردت من فرنسا خوفا من عودة سلطة رجال الدين إلى السياسة ، لكنها ظلت فرقة تحضى بعناية كبيرة من طرف السلطات الفرنسية في الخارج ، و ذلك لأنها تسعى من أجل التنصير الجماعي و ليس الفردي ، أسلوب إعتمده الإستعمار لتثبيت قوته في الجزائر . (3)

كانت تلك عوامل رئيسية ، تمكنت بفضلها فرنسا من تجسيد سياستها القائمة على مبدأ فرق تسد ، تغلغلت عبر صفوف الحركة الوطنية ، مشكلة إنشقاقا كاد أن يكون خطرا حقيقيا على مصير الثورة التحريرية ، فإكتسبت الظاهرة بذلك الصبغة السياسية و الطابع الإستعماري .

إن المبدأ الذي تبنته فرنسا للتفرقة بين عناصر الحركة الوطنية ، مشجعة بكافة الوسائل الروح القبلية ، سمح لها بخلق نزاعات جهوية ، سيما و قد إستعملت

1– المرجع الأنف الذكر ، ص 25.

2– المرجع الأنف الذكر ، ص 27، نقلا عن : رسالة الجنيرال دوروفيقو إلى وزير الحربية الفرنسي يوم 09 جانفي 1833 ، نقلا عن :
GABRIEL ESQUER , <u>CORRESPONDANCE DU DUC DE ROVIGO (1831-1833)</u> . TOME 2 , ALGERIE , 1920 , P 338 .

3– المرجع السابق ، ص 32.

دراسات دقيقة حول الجزائر من جوانبها السياسية و الإجتماعية ، حتى تتمكن من التحكم و السيطرة عليها ، فقد حثت الكثير من الباحثين على تناول أطروحة أصول البربر و دخولهم الإسلام بالإكراه في كتاباتهم و أطروحاتهم ، هادفة بذلك إلى إظهار إمتداد الحضارة الغربية (التي عادت بالوجود الفرنسي إلى الجزائر) بالمغرب العربي ، فقسمت فرنسا عن طريق المبشرين و ضباط شؤون الأهلية (*) الأهالي الجزائريين بصفة خاصة إلى : بربر أو السكان القدامى ، و عرب و هم الذين وصفتهم بالغزاة ، الأمر الذي جعل من فرنسا تكثف عملية التنصير بمنطقة القبائل ، و ذلك بهدف خلق طائفة تتمكن السلطة الفرنسية من إستغلالها بالجزائر ، خدمة لأغراضها السياسية عن طريق إدماجها في المجتمع الفرنسي ، إذ أن خير دليل على ذلك هو إرسال الأب اليسوعي كروزا إلى بلاد القبائل ككاهن يجيد اللغة العربية ، و اللهجة القبائلية ، ليساعد الأهالي على إعتناق المسيحية عن طريق تبنيه للأعمال الخيرية المختلفة .

تليها أعمال الكاردينال لافيجري ، أسقف الجزائر ، ذاك الذي ظهر في فترة إمتازت فيها الجزائر بالبؤس و الأمراض ، سببها كان الجفاف العظيم لسنة 1887 ، الأمر الذي خلق مجاعة كبيرة ، خلفت عددا هائلا من الموتى ، الشيء الذي جعل الكاردينال لافيجري يستغل هذه الفرصة ، ليكون في موضع قوة ، قام من خلالها بحملة خيرية ، أهدافها تبشيرية بحتة ،

> **" فكان يطوف الأنحاك التي فتكت بها المجاعة و الأمراض ، و الصليب في يمينه و الخبز و الدواء في شماله ، و جمع طائفة كبيرة من الأيتام و اليتيمات يبلغ عددهم نحو 1500 شخصا ، فرباهم في ظل الكنيسة و على دين المسيحية ، و لاتزال بقايا موجودة في كثير من الجهات ، و بعضهم بقي مسيحيا صادق المسيحية إلى اليوم ."** (1)

---

*- و هم المختصون في دراسة عادات و تقاليد السكان .

1- المدني ، مرجع سابق ، ص 61.

من جهة أخرى ، لا بد من الإستدلال بمجهودات الكاردينال لافيجري و فرقة الأباء البيض (1) ، الذين ركزوا جميعا أعمالهم التبشيرية على منطقة القبائل ، و ذلك نظرا لكثافة سكانها و تجمعهم في منطقة واحدة و عزلتها و بعدها عن المدن الكبرى ، حيث يرون أن سكانها ذوو جذور مسيحية ، حولوا إثر وجود هذا الكاردينال بمنطقتهم ، وسائل التبشير إلى إنشاء المدارس كأنجع وسيلة لجلب السكان ، و ذلك بعد فشل المحاولات التبشيرية السابقة ، التي كان سببها الأساسي معارضة بعض السكان من جهة ، و الصراعات القائمة بين القادة السياسيين و الأباء المبشرين من جهة أخرى ، إذ أن خير دليل على ذلك هو قيام ثورة المقراني في بلاد القبائل ، الأمر الذي جعل من المستعمر يبحث عن وسيلة جديدة من شأنها تقريب السكان من المجتمع الفرنسي ، تلك المتمثلة في فرنسة البربر المعربين .(2)

بالمقابل ، لا بد من التنويه بالمجهودات التي كانت تبذل لتقف في وجه هذه الأعمال الساعية إلى تحطيم مقومات الشخصية الوطنية ، تلك المتمثلة في " **الدور الذي لعبته المدارس الشعبية سواء في مدارس قرآنية أو وطنية عندما كانت تلقن الأطفال دروسا في التاريخ تختلف تماما عن الدروس التي كانوا يتلقونها في المدارس الإستعمارية ، فضلا عن تعلمهم الأناشيد المدعمة للشخصية للوطنية ، كشعب الجزائر ، أو الحماسية المؤثرة في قلوبهم كأنشودة من جبالنا مثلا ... و الدور الذي لعبه المصلحون الذين كانوا يعتمدون على القرأن و يرفضون البدع و الخرافات و التدجيل عن طريق التوجيه و الإرشادات و تلقين المعلومات** =

1- GEORGES ELIE , LA KABYLIE DU DJURDJURA ET LES PERES BLANCS . FRANCE : NP , 1923 , P 39 .

2- بقطاش ، مرجع سابق ، ص 120 ، نقلا عن :
DOMINIQUE L.C , UN GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE , L'AMIRAL DE GUEYDON . ALGERIE : NP , 1908 , P 541 .

= الصحيحة داخل المساجد ، و النوادي و الأماكن العمومية و في أي مكان كانت الظروف تسمح بذلك . " (1)

المبحث الثاني : توظيف النزعة البربرية في الحركة الوطنية .

إن مجمل الوسائل و الأساليب التي تبنتها فرنسا من أجل بعث الإنشقاق بين أفراد المجتمع الجزائري ، كانت لها أثار إنعكست بصفة مباشرة على الحركة التحريرية الوطنية .

أولا : موقف الحركة الوطنية في بدايتها إزاء ظاهرة النزعة البربرية .

كما نعلم ، فإن أول تشكيلة حزبية فتحت باب الحركة الوطنية ، تمثلت في نجم شمال إفريقيا ، ذاك الحزب الذي تأسس سنة 1926 ، و الذي نشأ على إثر الحركة العمالية المهاجرة ، حيث توجه هدفه الأساسي نحو المناداة بالإستقلال الوطني ، تحت شعار " الجزائر عربية مسلمة " .

فقد نص برنامجه في الجزء الثالث منه ، الفقرة الثالثة على أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية للجزائر (2) ، مركزا نضاله على محاربة فكرة الجزائر الفرنسية .

" إن القمع الإستعماري هو السبب الأول الذي أدى إلى الرفع من مستوى الروح الوطنية ، لكن ثورة أكتوبر بروسيا و التي كانت نتيجتها الطبيعية هي نشوء الحزب الشيوعي الفرنسي ، هي التي إستعجلت الوعي الوطني =

1- محمد كشود ، " المقاومة الوطنية و الحركات السياسية حتى ليلة نوفمبر " : الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون . المجلد الأول ، الجزء الثاني ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 7 .

2- MAHFOUD KEDDACHE ET MOHAMED GUENANECHE , L'ETOILE NORD-AFRICAINE . ALGERIE : OPU , N D , PP 59-60 .

= بالجزائـــر . هـذه الأحداث ساعدت كثيرا على إنشاء قوة سياسية فعالة بالمهجر . " (1)

على الرغم مـن أن جل أعضـاء نجم الشـمال الإفريقـي مـن المهـاجرين ، و أن أغلبهـم نـاطقين بالبربريـة ، إلا أن مشـكل اللغـة المسـتعملة داخله أمر لم يكن يطرح إطلاقا ، إذ أن الهدف الواجب تحقيقـه كـان يستوجب توحيد الصفوف ، و عدم الوقـوع فـي ثغرات إختـلاف ، مـن شـأنها أن تكـون منعرجا خطيرا يبعدها عن مبتغاها .

" إتخذ نجم شمال إفريقيا تيارين إثنـين : أولـهما يعكـس آراء الحـزب الشـيوعي الفرنسي ، إذ يربط إستقـلال الجزائر بتحقيق الإشتراكـية بفرنسا ، و يعطي الأولوية لعصرنـة الأفكار ... الثقافة التقليدية ، أما الثانـي و صاحبه مصالـي الحاج ، فهو يعتبر الأمة فـئة حـاملـة لـقيـم ثورية ، يعطي الأولـوية للـمعـيار المـحدد للوضعية السياسيـة إزاء الإستعمـار ، و ليـس للإنـتماء الـطبقي ، مـركزا عـلى المظاهـر المتساوية للعمق الثقافي العربي الإسلامي ." (2)

أيضـا ، فقـد عمـدت جمعيـة العلمــاء المسـلمين الجزائرييـن كتشكيلة ذات طابع ديني مست مباشرة الكتل الإسـلامية ، تشـكلت فـي 05 مـاي 1931 عـن طريـق جمعيـة ضمـت كـلا مـن الإصلاحييـن و الطرقييـن الممثليـن للزوي ، برئاسة الشيخ عبد الحميد بن بـاديس ، إلـى إنتهـاج نفس الطريقـة فـي إرساء المبادئ العامة للشعب الجزائري ، علما أنها لم تكن فـي يـوم مـن الأيـام تطالب بالإستقلال الوطنـي ، فهـي ذات طـابع إصـلاحـي ، هدفهـا تلقيـن الرجـل الجزائري معالم الدين الإسلامي بتربيته و تعليمه ، إستنادا إلى المادة الثالثة مـن نظامها الداخلي التي تنص على أن كل ممارسة سياسية ممنوعة عليها بتاتا .(3)

1- MOHAMED HARBI , LE FLN MIRAGE ET REALITE . ALGERIE : EDITION J.A , 1980 , P 14.

2- IBID , PP 14-15.

3- BEN YOUCEF BEN KHADDA , LES ORIGINES DU 1ER NOVEMBRE 1954 . ALGERIE : EDITION DAHLEB , 1989 , P 262 .

" فيما يـخص جمـعية العلماء ، فإن دورها ديني ، بينـــما دور حزب الشعب الجزائري سياسي . ففي ظل وجـــود إختـــــلاف في وجـــهات النظر بين المنظمتين ، توافق جمعيـــة العلـــماء على مشروع فيولات ، التمثيل البرلماني ، و إرتبـــاط الجزائـــر بالبلد الأصلي (METROPOLE) في إطار المركزيـــة . إن حزب الشعب الجزائري الذي يطالب بالإستقلالية الجزائرية ، يبدي موقفا معاديا لهذه النقاط الثلاثـــة ." (1)

مـن هنـا ، يتضـح موقـف الجمعيـة واضحـا إزاء الهـــوية الوطنية ، و الذي يتمثل في شعارها " الجزائر عربية مسـلمة " ، و أن التشكيك في عروبة و إسلام البربر ، ما هي إلا محاولـــة إستعماريـــة دنيـــئة ، إذ أن

" أول ثـــورة بعـــد حـــرب الأمـــير عبد القـــادر كانت في القبائـل الصغـــرى ... و الغـــريب أن الإستعمـــار حـــاول أن يشعر هؤلاء الجزائريين فـــي القبائل الصغرى و الكبرى بالفروق الدموية و اللغوية بينهم و بين الأمير عبد القادر و رجاله ...و لكن رجال القبـائل كانوا يرون ذلك سبة لهم و كانـوا يـردون علـــى هذه الدعايات المتكررة بأنهـــم مســلمون بنفس الدرجة التي كان عليها الأمير و أنصاره . " (2)

إذن فهـي تتهـم الإسـتعمار الفرنسـي بإسـتغلاله لهـذه النقطـة بغرض زرع روح الإختـلاف و التفرقـة بيـن أفـراد المجتمـع الواحـد ، بإعتبـار البربر شعب لا يمت للعرب بصلة و أن الإسلام فرض عليهم فرضـا ، و علـى هذا الأساس يجب أن يحرروا من عروبة الإسلام ، و هكـذا يكـون إذن موقـف الجمعية من هذا الموضوع واضحا ، خاصة من خـلال كتـابـات الجمعـــية نفسها سنة 1948 ، تلك المتعلقة بمحطة الراديو البربرية ، و التي جـاء فيـها :

1- DECLARATION DE MOUFDI ZAKARIA AU JOURNAL DE TUNIS LE 14 JUIN 1937 , IN : MOHAMED GUENANECHE ET MAHFOUD KADDACHE , LE PARTI DU PEUPLE ALGERIEN . ALGERIE : OPU ,ND , P 26.

2- د محمد مصايف ، في الثورة و التعريب . الجزائر : الشركـة الوطــنية للـنشـر و التوزيع ، 1973 ، ص ص 12-13 .

" نحن العلماء ، لا يمكننا أن نهدأ حتى نقضي على هذه المحطة التي تنطق بلهجة عامية (JARGON) تخدش آذاننا ." (1)

هكذا ، تبقى حسب جمعية العلماء المسلمين " البربرية و النزعة البربرية من خلق غرباء عما يسمى بالبربر دخلاء عليهم ، هدفهم ليس خدمة التاريخ ، لأن التاريخ ينكر وجود البربر خارج إطار الأمة العربية ." (2)

ثانيا : أزمة حزب الشعب الجزائري .

في هذا الإطار ، لا بد من الإشارة إلى أن موقف حزب الشعب الجزائري في عشريته الأولى إزاء موضوع الهوية الوطنية ، لم يتغير عن موقف حزب نجم شمال إفريقيا ، إلا في المصطلحات و التعابير (3) ، حيث إنبثق عنه ، و ذلك على الرغم من أن حسين أيت أحمد يروي أنه في سنة 1948 ، كان عدد مناضلي حزب الشعب الجزائري حوالي 19.000 مناضل من بينهم أكثر من 11.000 مناضل بربري من منطقة القبائل .(4)

بدأت من هنا تظهر البوادر الأولى للأزمة البربرية ، أو الأزمة ضد البربرية ، فالتسمية لا تهم بما أن الموضوع واحد يتمحور حول البربرية و الهوية الجزائرية ، تلك التي اثارت السؤال : هل أن الجزائر بلد عربي مسلم ؟ و الذي طرح بالضبط سنة 1936 ، على إثر تلك المواجهات بين مصالي الحاج و أحد ملازميه الأوائل عمر إيماش ، حيث كان هذا الأخير متمسكا بالبرنامج الكلاسيكي لحزب نجم شمال إفريقيا ، بينما مصالي الحاج كان ينادي بضرورة التنسيق و بأولوية تكوين برلمان جزائري ، فالأول كان يضم من حوله أعضاء من منطقة القبائل ، بينما الثاني يضم حوله مناضلين من كل مناطق القطر الجزائري .

1- SAID SADI , L'ALGERIE L'ECHEC RECOMMENCE ? . ALGERIE : EDITIONS PARENTHESES, 1991 , P 134 .

2- سعدي ، مرجع سابق ، ص 38 .

3- محمد قنانش ومحفوظ قداش ، حزب الشعب الجزائري 1937-1939 .الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، دون تاريخ نشر ، ص 21 .

4- SADI , OP-CIT , P 107.

" يستمد مصالي أفكاره الإجتماعية من الإسلام ، بينما يستعيرها أحد رفقائه و منافسه في المستقبل ، عمر إيماش ، أمين عام نجم شمال إفريقيا حتى سنة 1936 ، من المنظمة التقليدية و العادات البربرية ." (1)

إكتست الظاهرة طابعا سياسيا ، حيث قامت جماعة من منطقة القبائل بالإنظمام لحزب الشعب الجزائري / حركة إنتصار الحريات الديمقراطية بغية مقاومة المستعمر ، علما أن عددا هاما منهم كان ذو مستوى تعليمي ، فشكلوا كتلة داخل هذا الحزب ، أصبحت تطالب بحقوق بربرية ، رافضة الإنتماء إلى العروبة ، و كذا فكرة الجزائر العربية المسلمة .

إن تفسير هذه المواقف واضح ، فثقافتهم قد أثرت عليهم ، و تكون بذلك فرنسا قد تركت آثارها من خلال ما لقنته إياهم من مبادئ ، بما أنها إحتضنت تعليمهم .

في هذا المضمون ، نلفت الإنتباه إلى أن هؤلاء ، هم مناضلون متأثرون بأفكار شيوعية بحتة ، الشيء الذي يفسر إنضمام هذه الفئة من المناضلين من بعد إلى الحزب الشيوعي ، خاصة و أن الشيوعية أنذاك كانت في أوجها .

" أثرت هذه الأفكار على العديد من الشبان في منطقة القبائل هؤلاء الذين ناضلوا بعد 1949 في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري أين أصبحوا رفقاء الدرب ." (2)

لكن لماذا يا ترى الحزب الشيوعي بالذات ؟ السر يكمن في أن الشيوعية تنادي بفكرة أن كل عرق له لغة خاصة به و ثقافة خاصة به ، و عليه بذلك أن يستفيد من الإستقلالية في تسيير شؤونه (3) ، و هي الفكرة التي أراد ذوو النزعة البربرية في الجزائر ، محاولة تجسيدها ميدانيا ،

1- HARBI , OP-CIT , P 18 .
2- IBID , P 19 .

3- بن نعمان ، مرجع سابق ، ص 28 .

و كأنه وقع نوع من التحالف بين الشيوعية و رجال الكنيسة المسيحية تشجيعا للحركة البربرية ، واثقين أن العامل المشترك بين الإثنين لا يمكن أن يكون سوى الدين ، أفيون الشعوب بالنسبة للأولى ، و عدو منافس بالنسبة للثانية .

من هذه النقطة بالذات ، يمكننا إلتماس علاقة الظاهرة البربرية بالخارج بل بفرنسا بالذات ، إذ تربطها علاقة إمتداد ، خاصة و أن فرنسا تعتبر النواة اللب لتسييس الظاهرة ، حيث كانت أرضها مهدا لنشاط أهل النزعة البربرية .

إرتكزت الحركة البربرية بعد 1945 على ثلاث معطيات رئيسية تمثلت في : أثار المواجهات بين مصالي و إيماش منذ 1936 ، الإنتشار السريع لمفهوم الوطنية في منطقة القبائل و من قبلها في فرنسا ، و الأخطاء التقنية التي إرتكبتها قيادة الحزب فيما يخص مسألة التمرد ، الأمر الذي شكل حافزا ، طالب من خلاله بناي وعلي ، أحد مناضلي الحزب ، المنادي بالنزعة البربرية، بتوحيد المناطق البربرية في منطقة واحدة .(1)

لم تتخل الحركة البربرية عن أمها فرنسا ، إذ طلب بناي وعلي من بودة – رئيس المنظمة الوطنية لحزب الشعب الجزائري / حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، إرسال محند علي يحي – المدعو رشيد – إلى فرنسا لمتابعة دروسه ، سيما و أنه كان أنذاك مطاردا من طرف الشرطة ، حيث إلتحق بالمنظمة في فرنسا و تحصل بنشاطه على منصبا في اللجنة المديرة لفيديرالية فرنسا للحزب .

هذا العضو الهام بالذات ، و على الرغم من أنه عضو فعال جدا في المنظمة ، إلا أنه لم يتمكن من التخلي عن أفكاره و ثقافته ، فكان عضوا محركا للحركة البربرية في المهجر ، و الدليل على ذلك هو نجاحه في دفع اللجنة المديرة إلى إنتخاب لائحة تدين خرافة الجزائر العربية المسلمة ، مباشرة بعد إنفجار الأزمة البربرية في 1949 .

1- HARBI , OP-CIT , P 61 .

بقي الأمر الذي يلفت الإنتباه في هذه الأحداث ، هو تدخل عناصر بربرية تتمتع بوزن هام في منطقة القبائل (منهم المناضل صادق السعيدي) ضد محرضي النزعة البربرية ، و ذلك إثر إرسال قيادة الحزب في الجزائر لوفد ضم السادة : شوقي مصطفاي (عضو في المكتب السياسي للحزب) ، صادق السعيدي (شخصية حزبية معروفة بمنطقة القبائل) ، محمد خيذر و بلقاسم راجف (العضويين المعينين من طرف الحزب بفرنسا) ، هؤلاء الذين تمكنوا من إعادة جمع شمل أعضاء الحزب ، بعد أن كادت تنفصل ، و من بعدها إعادة تشكيل فيديرالية فرنسا للحزب من جديد .(1)

نقف هنا وقفة إستنتاج ، لنتأكد من خلال كل ما سبق ، أن الثقافة الإستعمارية المكتسبة لدى بعض عناصر الحركة الوطنية ، ذوو النزعة البربرية ، سيما هؤلاء الذين كانوا ينشطون بالمهجر (مهد هذه الثقافة و المكتسبات الإيديولوجية) هي التي كات وراء التمردات التي عرفها حزب الشعب الجزائري / حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، و ما فشل هذه المحاولات ، إلا دليل على صمود الوجه المقابل ، ذاك المتحصن بالمكتسبات الثورية العربية الإسلامية ، واثقين أن ما حدث في هذه الفترة من التاريخ ، ما هو إلا محاولة إستعمارية بحتة لكسر صفوف الحركة الوطنية ، و التي سوف تكون نتائجها حتما لفائدة فرنسا .

أليس هذا دليلا كافيا على أن ظاهرة النزعة البربرية هي من خلق إستعماري بحت ؟ و إلا كيف يمكن لهؤلاء المناضلين المطالبة بالثقافة البربرية مع إعادة طرح الهوية الوطنية ، في الوقت الذي يتحدثون فيه بالقبائلية ، " فالدليل على ذلك أن خطباء نجم الشمال الإفريقي ، حزب الشعب الجزائري ، أو حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، كانوا يستعملون القبائلية في خطبهم أو حتى في الأغاني و الأناشيد الوطنية التي تثير الحماسة و النشاط داخل إجتماعات المناضلين أو تجمعات الجماهير ." (2)

1- د بن نعمان ، مرجع سابق ، ص ص 30-31.
2- المصدر الأنف الذكر ، ص 33.

في هذا الإطـار ، نذكر بـأن النشيد الوطني لحـزب الشـعب الجزائري – فداء الجزائر – كتب من طرف مفدي زكريـاء ، و هـو مـن بنـي ميزاب دليل جديد على ما سبق و أن قيل .

فـي نفس الموضـوع تطلعنـا للبحـث فـي نظـرة الأحـزاب السياسية الحالية للأزمة البربرية لسنة 1949 ، حيث أكدت لنا التصريحات التي أدلى بها الأمين الوطني لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، السيد بوعيش يخلـف (1) ، أن الأزمة التي عاشها حزب الشعب الجزائري / حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ليست لها أية علاقة بالنزعة البربريـة ، و أنـه تعبير صريح علـى صراعات كانت تهدف إلى بعث روح الديمقراطية داخل هذه الحركة النضالية ، بغية تجسيد التعددية السياسية و الثقافية ، و أنها بذلـك نتيجـة لممارسـات بعـض التيارات الإيديولوجية التابعـة لحـزب الشـعب الجزائـري مـن جهـة ، و لبعـض المصالح الإستعمارية الفرنسية من جهة أخرى ، خاصة و أن النقطة التي كانت محل الخلاف تمثلت في سعي الطـرف الثـاني للأزمـة لبنـاء جزائـر جزائــرية بعــيدة عن التــيارات الغربية و الشرقية ، قائمة على أســس و مكونـات نابعـة من ذاتها تلك المتمثلـة فـي الإسـلام ، العربيـة ، و البربريـة ، فـي حين تمسـك الطرف الأول (أي أتباع مصالي الحاج) بأفكار محمد عبده المشرقية .

أما فيما يخص محاولـة إنشـاء حـزب الشـعب القبـائلي ، فـإن ممثل السيد حسين أيت أحمد يؤكد أن كل مناضلي حزب الشعب الجزائري دون إستثناء ، كانوا يسعون إلى تكريس جهودهم الوطنية في ظل جزائر موحدة غير قابلة للتقسيم ، حيث يحكم هذا الرأي على محاولة إنشاء حـزب الشـعب القبـائلي بالمحاولة الوهمية ، سيما و أن السـيد حسين أيت أحمد كـان قـائدا علـى رأس المنظمة السرية التي أشرفت على إنطلاق الثـورة التحريريـة ، و التـي لـم تكـن سوى الجناح المسلح السري لحزب الشعب الجزائري .

إستنادا إلى الموقف الـذي عبر عنـه الأمين الوطنـي لحـزب جبهة القوى الإشتراكية، و الذي ينفي مـن خلالـه صفـة البربريـة لأزمـة حـزب الشعب الجزائري سنة 1949 ، نستنتـج أن هذا التصريـح ما هو إلا تبـريـر

1– مقابلة مع السيد بوعيش يخلف ، أمين وطني لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، الثلاثاء 18 سبتمبر 2001 ، بمقر الحزب بالعاصمة .

لموقف الزعيم الروحي لحزب جبهة القوى الإشتراكية إزاء هذه الأزمــة ، التــي يحكم عليها هذا الأخير بأنها نشأت على إثر خـلاف بيـن منـاضلين يسـعون فـي سبيل بناء جزائر جزائرية ، و بين مناضلين كانوا يودون إتباع نمـوذج سياسـي عربي - إسلامي ، فقد كان الصراع حول أولــوية الـداخل علــى الخـارج ، و أولوية الطابع المدني على العسكري ، و عليه فإن المشكل حسب هـذا الـرأي لم يطـرح أبـدا بيـن النـاطقين بالبربريـة و النـاطقين بالعربيــة ، و أن تسـميتها بالأزمـة البربريـة هـي مكيدة دبـرت بإسـم المنـاضلين الـبربر للقضـاء علـى الديمقراطيـة ، خاصـة و أن سـبب الأزمـة تمثـل فـي قـرارات مجموعـة حـزب الشعب الجزائري المتواجدة بالمهجر المتضمنة للطرح البربري .(1)

من خلال التصريحات السابقة الذكر ، نلتمس تناقضا ظـاهرا في الأفكار التي نعتبرها تبريرية ، لنتأكد أن الأزمة كانت فعـلا بربريـة إسـتنادا إلـى أن فاعليهـا هـم عنـاصر بربريـة ، و أن سـبب تفجير الأزمـة هـو الطـرح الـبربري ، و لا يهـم إن كـان طابعهـا ديمقراطيـا أو غـير فهـذا لـن يغـير مـن خصوصيتها شيئا .

ثالثا : نتيجــة الأزمــة و إفـرازاتــها .

كعقوبة تفرض نفسها بعد هذه المناورات الخطيرة ، هو طرد أنصار هذه الأفكار من الحزب ، خاصة و أنهم كانوا يطمحون إلى هيكلة حزب الشعب القبائلي داخل حزب الشعب الجزائري ، لكنهـا محاولـة بـاءت بالفشـل ، سيما مـع حصـول قيادة حـزب الشـعب علـى رسـالة كــان قــد بعثهـا عمـر أوصديق من سجن سركاجي بالجزائر إلى بناي وعلي ، حيث إعتبر ذلـك حجـة مادية كافية لطرد محرضي إنشاء حزب الشعب القبائلي و هـم : بنـاي وعلـي ، عمر أوصديق ، عمار ولد حمودة ، و صادق هجرس ، الذين إنتقلــوا مـن بعـد - كما أشرنا سابقا - إلى الحزب الشيوعي الجزائري ، النواة الأولية لأفكـارهم بما أن العلاقة التي كانت تجمعهم ببعضهم ، هي علاقة الجزء بالكل .

1- المرجع السابق الذكر .

إن النتائج المترتبة عن هذه الأحداث ظهرت من بعد ، إذ إفتقدت فيدرالية حزب الشعب الجزائري حريتها في التسيير ، حيث أصبح قادته معينين بعد أن كانوا منتخبين ، كما صارت أغلبية أعضاء المكتب السياسي تتعين عن طريق الإنتقاء ، بن بلة حل محل أيت أحمد على رأس المنظمة ، كما عزل الدكتور لمين دباغين ، و هكذا يختفي حزب الشعب الجزائري / حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، ليأتي دور المنظمة السرية .

أما فيما يخص التيار البربري ، فقد إنقسم إلى : بناي وعلي ، الذي ينشط في المهجر (فرنسا) ، مجموعة من المناضلين في صفوف الحزب الشيوعي الجزائري أو الحزب الشيوعي الفرنسي ، و جماعة أخرى تبقى في صفوف الحركة الوطنية حتى إندلاع الثورة التحريرية الكبرى .(1)

في هذا الباب ، لا بد من التأكيد على أن من أهم مخلفات الأزمة البربرية هو فقدان عناصر نضالية نشيطة في منطقة القبائل ، مما إنعكس سلبا على المستوى السياسي ، و ذلك على الرغم من أن البعض يرى أن هذه الأزمة هي نتيجة حتمية لإنسداد الحزب ، محاولة جريئة ، أراد من خلالها أصحابها (الذين وقعوا تحت تأثير خطة فرنسا) القيام ببعض الإصلاحات داخل الحزب .

السؤال الذي يطرح الأن يدور حول كيفية تطور الوضع عشية الثورة التحريرية ؟ هل بقيت الفكرة راسخة ؟ و هل من تحولات طارئة ؟ سنجيب على هذه الأسئلة كلها من خلال الإلتفات إلى موضوع إغتيال بناي وعلي ، و عمر أيت حمودة من طرف كريم بلقاسم سنة 1956 ، إذ أن سبب ذلك كان محوره يدور حول موضوع المسألة البربرية ، حيث كانت وحدة الشعب الجزائري مبدء لا نقاش فيه ، الشيء الذي آمن به كريم بلقاسم و عدد كبير من المجاهدين ، الأمر الذي يكمن فيه سر تفسير هذه الإغتيالات .

" عشية أول نوفمبر ، و في الوقت الذي كان من الضروري التشاور حول تقسيم مناطق المسؤولية ، رأى كريم أنه يجب الفصل بين هضبة الصومام و بجاية =

1- HARBI , OP-CIT , PP 65-67.

= **عن هضبة سيـاوو و تـيزي وزو ، لإنضمامهما إلى إحدى ولايات الشـرق . فـي هـذا الظـرف ، تشجع كريم ليلتزم بما لم يستطع الشباب المثقف لسنة 1949 أن يلتزم به . لكن عشية الثـورة ، كان كريم الوحيد الذي رفض عـمليـة تـفكيك المجال السياسي العسكري القبائلي ، موقفا بذلك كـل المـحادثـات حتى و لـو كلف ذلك تأخير عملية التمرد ." (1)**

نتأكد من هنا مرة أخرى بأن ثورة نوفمبر الخالدة قـد جمعت شمل كل الجزائريين مـن الشـرق إلـى الغـرب ، و مـن الشـمال إلـى الجنـوب ، تاركة كل الخلافات التي زرعها الإستعمار لدى بعض الفئـات جانبـا ، فشـارك بذلك أهل الأوراس إلـى جـانب كـل مـن : بنـو مـيزاب (و هـم التشـكيلة القمـة للبربرية المسلمة) ، و أهـل منطقـة القبـائل الصغـرى و الكـبرى ، فـي الثـورة التحريرية ، جاعلين بمساهماتهم الفعالـة و بـإخلاصهم الصـادق للوطـن ، جبهـة التحرير الوطني هيكلا متجانسا ، هو سر إنتصارها .

" ستعرف منطقـة القبـائل نوفمبـر 1954 ككتلـة جهويـة ... دون أن يكون هـذا الإحسـاس بالإنتمـاء الجمـاعي الحقيقـي ليسـمو علـى الوعـي الوطني السياسي ." (2)

فإنصهرت بذلك الحركة البربرية أمام ثورة نوفمبر التحريرية إذ أن التاريخ يسجل **" أن منـطقـة القـبائـل كانـت دائـما قلعة ثورية ضد الإحتلال ... فهل يمكن أن ننسى ... ثورة لالا فاطمة نسومـر فـي جـبال جرجرة ، و ثورة أث مليكس (بوبغلة) بمنـطقـة الصومـام في الخمسينات من القرن التاسع عشر ؟ و ثورة الشيخ الحـداد و ابـنه عزيز جهة الصدوق ، و المقراني جهـة قـلعـة أث عباس في السبعينات من نـفس القرن ؟ و إنتفاضة خـراطـة فـي مـاي 1945 =**

1- SAADI , OP-CIT , P 159.

2- AMAR OUHERDENE , LA QUESTION BERBERE DANS LE MOUVEMENT NATIONAL ALGERIEN 1962-1980. ALGERIE : EDITIONS EPIGRAPHE ET DAR EL IJTIHAD , 1990 , P 78.

= **ثـم أخيـرا ثورة نـوفمبر 1954 ... مما اضطر الجنيرال ديغول إلى التفوه لأول مرة و عن مـرارة ، سـنة 1958 ، إثر زيارته المنطقة بلفظه الدعوة إلى سلم الأبطال ."** (1)

إمتـازت هذه الحـرب الخـالدة عـن سـائر ثوراتنـا العديـدة بالإستمرارية ، بالفوز ، و بالصدى الذي أحدثتـه فـي حظيـرة الشعوب التـي كانـت تتـابعها مـن بعيـد او مـن قريـب بكـل حـماس و دهشـة ، تلـك التـي صفقت لنـجاحها ، ثمرة تغلبها على جميع العقبات الإيديولوجية و غيرها إذ أن

" **تأثيـر الإيمـان عنـد الشعـب الجزائري قبل الـحرب التـحريـرية ، عـامل إحتفاظه بمقوماته و غداة تفجيرها عامـلا أساسيا في توحيد الصف تحده رابطة دينية متينة ، قوامها اللغـة و الدين و التاريخ المشترك و الأماني و الأمال و الحدود و الأهداف المنشودة ، و هـذه الظاهـرة مطابقة لفكرة بن خلـدون بمـا جاء فـي مقدمته : لا تـنجح دعوة في الأمة العربية إلا إذا بنيت على دعـوة ديـنيـة من بنـوة أو ولايـة ، لأنهم قد يختلفون في كل شيء ، و لكنهم يـتفـقـون في الدين ، و قد صدق ذلك في حربنا الـتحريرية ."** (2)

يمكننا إستخلاص مما سبق أن ظاهرة النزعـة البربريـة قـد نـشأت و ترعرعـت بـين أحضـان فرنسا الإستعماريـة ، التي حلـت بـالجزائر و بطياتها مشروع التبشير و التنصير الديني ، وسيلة إيديولوجية ذكيـة إنتهجتهـا لتثبيت قوتهـا ، حيـث تمكنـت مـن خـلال ذلـك مـن زرع بـذور الإختـلاف بيـن صفوف المجتمع الجزائري ، الأمر الذي إنعكس سلبا علـى الحركـة التحريريـة الوطنية ، خاصة مع تسييس الظاهرة بعد الحرب العالمية الثانية .

1- محمد بلقاسم حسـن بهلـول ، الجزائـر بيـن الأزمـة الإقتصاديـة و الأزمـة السياسـية . الجزائر : مطبعة دحلب ، 94/93 ، ص ص 99-100 .
2- محمد كشود ، مرجع سابق ، ص 06 .

بينما تتضح المجهودات التي لا يمكن الإستهانة بها للمناضلين الوطنيين البربر ، تلك التي يشهد عليها التاريخ بكل إفتخار ، هؤلاء الذين وضعوا المصلحة الوطنية فوق كل الإعتبارات ، و جعلوا تحقيق الإستقلال المادي هدفا أساسيا لا رجعة فيه ، الأمر الذي وحد الصفوف ، و أمد القوة لحزب جبهة التحرير الوطني حتى الإنتصار .

إن هذا الأمر يدفع بنا إلى التساؤل عن السر الذي كان وراء تحقيق هذا التلاؤم بين أفراد الشعب الواحد رغم إختلاف النطق بينهم ، و الذي شهدت له الشعوب في العالم أجمع .

" حقيقة أن الإيمان بالتشبيه بالشعب المسلم الجزائري ، و بالعمل بهذا النوع من الإصرار لخلق حركة و ذلك بالنظر إلى الكتلة المتجانسة التي يشكلها هذا الشعب المتمسك بشدة بشخصيته ، تلك التي سعى الإستعمار جاهدا لتدميرها ." (1)

أليس ذلك بدليل على أن من وصفتهم فرنسا بالسكان الأصليين (البربر) و الغزاة (العرب) ، يشكلون أمة واحدة ، وقفت طيلة سبع سنوات و نصف قوة واحدة في وجه الإستعمار نفسه الذي أراد أن يفرق بينهم ؟ أو لم يكن الإسلام يا ترى الوازع المشترك الأكثر فعالية الذي مكن جبهة التحرير الوطني من تحرير الوطن من قيود المستعمر الفرنسي ؟

في كل حال من الأحوال ، و إستنادا إلى منطق فرنسا في سياستها الإستعمارية التي أرادت من خلالها تنصير الجزائريين حتى يكونوا فرنسيين ، نقول أن سر النجاح الذي حققه الثوار الجزائريون هو مواجهة العدو بنفس منطقه .

1- TAREK , « LE PPA POUR L'EMANCIPATION DU PEUPLE ALGERIEN » . IN : MOHAMED GUENANECHE ET MAHFOUD KADDACHE , OP-CIT , P 61.

" فالحقيقة التي لا ريب فيـــها هي أن الإسلام يتضاءل في بلاد الجرجـــرة تضاؤلا عضيما ، و النشء الجـديد يستـــخرج نشءا بعيدا عن الإسلام و عن العربـــيـــة بعدا شاسعا ... فقد أخذت من الآن تنشــــأ إلى جـــانب الكـــتـــلة الإسلامية البربرية ، كـــتـــلة أخرى مسيحية بربرية يجتمع معضمـــهم اليوم حول الأربعاء بني راتن المسماة فورناسـيونـــال ، و أيـــت الحسن ، و تساورريت مقران . فأكـــثر رجـال هـــذا العـــرش ، أصبـــحوا مسيـحـيين دينا ، فرنسيين جنسا ، و هذا الحادث يعتبر نموذجا و عينة لما يراد ببلاد القبائل البربرية الكبرى . " (1)

على هـذا الأسـاس ، لا يمكننـا أبـدا أن نتغـاضـى عـن النتـائج السلبية التي تمكنت فرنسا من تحقيقها ، خاصـة فـي منطقـة القبـائل ، و التـي ستلعب حتما دورا هاما في المستقبل القريب .

1- المدني ، مرجع سابق ، ص 101.

الفصل الثالث : ظاهرة النزعة البربرية بعد الإستقلال الوطني .

في هذا الفصل ، سوف نتناول موضوع المسألة البربرية بعد أن تم تسييسها - كما سبق و أن وضحنا في الفصل الثاني - للتعرف على مختلف منعرجاتها الجديدة التي واكبت التطورات التي عرفتها البلاد بعد الإستقلال الوطني ، لتنتهي محطة هذا الفصل نهاية الثمانينات، حيث سنرى معا كيفية تعامل الأنظمة السياسية الجزائرية لهذه الفترة معها ، كما سنرى أيضا التوجهات التي تبناها أصحاب النزعة البربرية في ظلها ، متوقفين في كل مرة من تحليلاتنا المتضمنة في هذا الفصل ، أمام تواريخ أحداث سياسية هامة ، تكون لنا بمثابة النبراس الذي ينير مسارنا .

المبحث الأول : الصراعات السياسية غداة الإستقلال و خلفياتها .

تحقيق الإستقلال الوطني لم يستطع القضاء على التناقضات التي كانت مختفية من قبل ، بل على العكس سمح بظهورها على الساحة السياسية ليعلو صوتها ، محاولة فرض نفسها ، مما خلق جوا جديدا من الصراعات السياسية ، إحتضنت البعض منها بين طياتها النزعة البربرية ، حيث أصبحت عناصرها تحتل وزنا له أهميته بين الموازين السياسية الأخرى .

أولا : استمرار النزعة البربرية في ظل التناقضات السياسية

إن الأحداث التي تسببت فيها النزعة البربرية داخل الحركة التحريرية الوطنية ، ما هي إلا إنكسارات ذابت أمام الحدث الأكبر ، ألا و هو ثورة أول نوفمبر 1954 ، الأمر الذي لا يجعلنا أبدا نعتقد و لو للحظة أن هذه الإنكسارات قد ماتت و إندثرت ، سيما و أن الأدلة قائمة ، بإمكاننا إستخلاصها تدريجيا عبر مختلف مراحل تحليلنا .

تظل هذه الإنكسارات بمثابة الشقوف التي لم تسد ثغراتها ، تلك التي أدت بعد الإستقلال إلى منع جبهة التحرير الوطني من أداء مهامها في بناء الدولة الجزائرية ، إذ إلتقط الإستعمار الفرنسي الجديد (بعد الإستقلال) بقايا الورقة البربرية التي إستعملها في الأربعينات ، مؤسسا عليها الأكاديمية البربرية في جامعة (فانسان) بباريس سنة 1967 ، مؤامرة جديدة لكسر ما تبقى من الهوية الوطنية ، فكان سلاحه في ذلك هو خلق لغة وطنية ثانية لتدخل في صراع مع اللغة العربية ، اللغة الرسمية للبلاد ، و تكتب بأحرف لاتينية ضمانا لبقاء اللغة الفرنسية وسطا بين الإثنين ، خاصة و أن أرضية التطبيق بعد الإستقلال كانت محضرة ، تسمح بذلك .

" كان كل مسؤول (وهم كثيرون) ، يسعى من أجل كسب شرعية الثورة ، و جلبها لصالحه و كأنها غطاء يسحب . فقد كان الحكم في الجزائر قابلا للإستيلاء ، في الوقت الذي كان فيه أيضا عدد الطامعين كثير جدا .إن كل تحالف مهما كان مغايرا سيحاول الإستيلاء عليه لوحده دون سواه . " (1)

1- ABDELKADER YEFSAH , LA QUESTION DU POUVOIR EN ALGERIE . ALGERIE : ENAP , 1990, P 72.

إن قضية إغتيال عبان رمضان (1) في 31 ديسمبر 1957 بالمغرب ، ذات علاقة وطيدة بالمسألة البربرية ، إذ تم ذلك إثر تخوف مجموعة B3 (كريم بلقاسم ، بوصوف و بن طوبال) من أفكاره بحيث إتهمه عميروش بمحاولة زرع الفتنة داخل الولاية الثالثة (منطقة القبائل) ، هذا إضافة إلى إتصالاته السرية بفرنسا ، علما أن كلا الطرفين ينتميان إلى منطقة القبائل ، و يحملان في أفكارهما نضال قضية واحدة ، إلا أن نظرتهما للأوضاع إختلفت الأمر الذي جعل الصراع ظاهرا بينهما ، أسفر بإغتيال المناضل عبان رمضان.

في نفس الباب ، لا بد من تصويب الإنتباه إلى ما يعرف بمؤامرة " لابلويت " ، تلك المتعلقة بعملية إعدام عدد كبير من المثقفين الجزائريين ، فهي من ضمن القضايا التي لا يتحدث عنها كثيرا في تاريخ الثورة الجزائرية ، فقد ذهب ضحيتها أكثر من ألفي مثقف ، كلها نفذت في الولاية الثالثة (منطقة القبائل) ، حيث أعلم العقيد عميروش أن عددا من ضباطه و جنوده المثقفين ، الذين إلتحقوا بالثورة بعد إضراب الطلبة سنة 1956 هم على إتصال وثيق بالجيش الفرنسي ، الأمر الذي دعاه إلى التخوف من مصير الثورة ، مما جعله يستعجل عملية إغتيالهم ، تحسبا للخطر الذي قد يتسببون فيه ، و الذي قد يعود حتما بالسلب على مسار الثورة التحريرية الكبرى (2) .

تلك هي وقفة على مجمل التناقضات التي سايرت الحرب التحريرية للجزائر و التي تشهد على استمرارية النزعة البربرية في مضمونها على الرغم من إختلاف شكلها أو أسلوبها .

1- BENYOUCEF BEN KHEDDA , ABBANE - BENM'HIDI , LEUR APPORT A LA REVOLUTION ALGERIENNE . ALGERIE : EDITION DAHLEB , 2000 , PP 64-65 .

2- علي كافي ، مذكرات الرئيس علي كافي : من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962 . الجزائر : منشورات القصبة ، 1999 ، ص ص 391-408.

ثانيا : أزمة صيف 1962 و إعادة تحديد موازين القوى السياسية .

إن الأحداث التي تعلقت بالإغتيالات المختلفة لذوي النزعة البربرية تزامنت و الصراع بين جماعة الداخل و الخارج ، ليتجسد في خلاف ظاهر بين الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المؤسسة في 19 سبتمبر 1958 و قيادة الأركان العامة ، إذ أن عملية تأسيس هذه الحكومة تمت في الخارج دون إستشارة جماعة الداخل (قادة الولايات بصفتهم أعضاء في المجلس الوطني للثورة الجزائرية) ، لتتطور الأمور حتى حدوث ما يعرف بأزمة صيف 1962 ، حيث تفاقمت الأزمة ما بين الكتلتين بعد إتفاقيات إيفيان المنعقدة في 18 مارس 1961 ، فاشتد الصراع بين بن بلة و بن خدة ، إنتهى بإنتصار قيادة الأركان بعد تحالف العقيد بومدين مع بن بلة ، علما ان قيادة الأركان قد إتهمت بالتمرد ، الشيء الذي دفع البلاد إلى الدخول في صراعات أخوية ، فشكلت بذلك كل من الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) ، الولاية الثالثة (منطقة القبائل) ، الولاية الرابعة (العاصمة) ، و فيديراليات جبهة التحرير الوطني بفرنسا كتلة واحدة ، وقفت كقوة متجانسة في وجه قيادة الأركان التي تعززت قوتها بإنضمام كل من الولاية الأولى (أوراس النمامشة) و الخامسة (الغرب) ، و السادسة (الصحراء) ، إلا أن سر تفوق الكتلة الثانية على الأولى يكمن في تحالف بن بلة بعد استقالته من الحكومة المؤقتة ، مع العقيد بومدين الذي فر من (غارديماو بالحدود التونسية) ليستقر في الولاية الأولى (1) ، مستندين في ذلك إلى أن عقد لقاء بين القادة الخمس هو الأسلوب الوحيد في نظر أحمد بن بلة لحل أزمة صيف 1962 ، إنطلاقا من أن ملاقاتهم تجعلهم يقنعون و يقتنعون ، في جو سلمي هادىء بعيد عن طابع العنف ، " لقد تم إذن التحالف على أساس أسلوب حل الأزمة " (2)

مباشرة بعد تكوينه للمكتب السياسي في تلمسان ، أصبح أحمد بن بلة هو سيد الموقف أمام الحكومة المؤقتة التي كانت قد فقدت كل سيطرتها على الأوضاع ، و التي اتهمت بالخيانة ، خاصة بعد عقد اتفاقيات إيفيان التي وصفها العديد بالإتفاقيات الكولونيالية ، حيث أعلنت كل من

1- حميد عبد القادر ، " أزمة صيف 1962 ، بداية الصراع على السلطة " . الخبر . العدد 2203 ، 24 فيفري 1998 ، ص 19 .

2- MOHAMED HARBI , LE FLN MIRAGE ET REALITE . ALGERIE : EDITION J.A , 1980 , P 96 .

الولايتين الثالثة (منطقة القبائل) و الرابعة (العاصمة) عن رفضهما لهذا المكتب السياسي ، في وقت ظلتا فيه ترفضان تأييدهما لقيادة الأركان .

" رفضت هاتان الولايتان الإختفاء قبل أن يتم تعيين حكومة مركزية شرعية ، لتحكم الجزائر ." (1)

ظلت الأوضاع على ما هي عليه من صراعات على السلطة إلى غاية دخول بن بلة و بومدين إلى العاصمة على رأس جيش الحدود ، مكونين مكتبا سياسيا جديدا ، أقصي منه عددا هاما من المناضلين الأعضاء في كل من الحكومة المؤقتة و المجلس الوطني للثورة .

إن عرض هذه الأحداث التاريخية الهامة للمسار السياسي للبلاد ، مباشرة بعد الإستقلال لم يكن أبدا من الصدفة ، أو لمجرد السرد التاريخي لها ، بل قمنا بذلك في سبيل التعرف على الخفايا السياسية لثورة نوفمبر و ما بعدها بصفتها تمس مباشرة المسألة التي نحن بصدد البحث فيها ، و التي كانت السبب بدورها في العديد من التناقضات .

هكذا إذن ، يتضح لنا جليا أن الولاية الثالثة (منطقة القبائل) سعت جاهدة لتقف إلى جانب الكفة المساندة من طرف فيدراليات جبهة التحرير الوطني المتواجدة بفرنسا ، علما أن حسين آيت احمد ، أحد المحرضين الأساسيين للنزعة البربرية فضل مغادرة البلاد متجها إلى المهجر و ذلك بعد محاولة إنفصاله رفقة محمد بوضياف و كريم بلقاسم عن مجموعة بن بلة ، مساندين (بفتح النون) من طرف فيديرالية فرنسا و سكان منطقة القبائل الكبرى التي برز دورهم فيها . (2)

المبحث الثاني : موقف النظام الجزائري من الحركة البربرية بعد الإستقلال

عرفت المسألة البربرية إقصاءا من طرف النظام السياسي بعد الإستقلال ، سعت على إثرها عناصر الحركة البربرية إلى إعادة تحريك

1- YEFSAH , OP-CIT , P 92 .

2- M'HAMED YOUSFI , LE POUVOIR 1962-1978 . ALGERIE : EN - ANEP , ND , PP 16-17.

عجلتها من جديد لتواكب كل الأنظمة السياسية بدءا من حكومة أحمد بن بلة ، لتعرف الأوضاع بذلك تطورا حددته المعطيات السياسية للبلاد ، تلك المحددة بدورها لمدى ضعفه و قوته .

أولا : العروبة ، الإسلام ، الإشتراكية : تعبير عن موقف سياسي (1965-1962)

إن الحديث على هذه الفترة ليس بالأمر السهل بما أن فترة ثلاث سنوات حكم فترة قصيرة جدا ، علما أن تناولها ليس كمحاكمة قضائية و لكن كسيرورة تاريخية .

مهمة حكومة أحمد بن بلة تمثلت فيما يسمى ببناء الدولة الإشتراكية في الجزائر ، لكن ثلاث قوى فعالة تنشأ في ظل الظروف السائدة : الحكومة ، الجيش ، و الإدارة ، و ذلك إلى غاية حدوث الإنقلاب العسكري ، عام 1965 .

ما اتسم به نظام أحمد بن بلة هو تلك التناقضات التي واجهته من طرف هؤلاء الذين أبعدهم عن القيادة و السلطة من جهة ، و من جهة أخرى حتى هؤلاء الذين ساعدوه على الوصول إلى قمة الهرم ، إذ ظهرت الخلافات بين الكتلتين مباشرة بعد تقلد الفئة الأولى مناصب الحكم و التسيير .

إن خصوصية هذه الوضعية أدت برئيس الدولة إلى البحث المتواصل عن وسائل من شأنها تقوية سلطته ، خاصة و قد إتهمته المعارضة بتبنيه لسياسة فردية غير ديمقراطية و غير مسؤولة ، تهدد بضياع مكتسبات الثورة التحريرية الكبرى (1) ، علما أن الشعب الذي طال الخطاب السياسي باسمه ، كان آنذاك في مجمله غير مهتم بما يجري حوله على الساحة السياسية هذا إن لم نقل أنه لم يكن ليفهم لغة الصراعات السياسية السائدة ، التي برز في خضمها دور حسين أيت أحمد الذي استطاع أن يجمع حوله مجموعة من المعارضين داخل المجلس التأسيسي الوطني نفسه ، وذلك بهدف الدفاع عن مبدأ الديمقراطية ، علما أن آيت أحمد كان دائما يشكل معارضة علنية لتشكيلة المكتب السياسي و ليس لمبادئه أو أفكاره ، واصفا إياها بالتشكيلة غير العادلة .

1- MOHAMED BOUDIAF , OU VA L'ALGERIE ?. FRANCE : LIBRAIRIE DE L'ETOILE , 1964 , PP 124-127 .

على هذا الأساس ، شكل حسين أيت أحمد معارضة صريحة لنظام أحمد بن بلة ، طابعها سياسي ، و إيديولوجيتها قائمة على مبدأ الإشتراكية العلمية ، و ذلك مباشرة بعد إستقالته من المجلس الوطني في 24 نوفمبر 1963 و تأسيسه في سبتمبر من نفس السنة لحزب سياسي " جبهة القوى الإشتراكية " ذاك الذي تم منع ممارسة نشاطاته في 28 سبتمبر من نفس السنة ، الأمر الذي أدى بحسين أيت أحمد إلى عزمه على قلب النظام بمساعدة العقيد محند ولحاج ، أحد كبار معارضي أحمد بن بلة ، غير أن استمرار النزاع و إنحصاره في منطقة القبائل أثار إعتصام جنود الولاية الثالثة في الجبال رافضين الإنصياع للسلطات التي استولت على الحكم ، جعل المشكل يأخذ طابعا جهويا عرقيا ، و ذلك على الرغم من أن الصراعات في البداية لم تأخذ الطابع الجهوي ، إذ أنها صراعات الداخل مع جيش الحدود الذي تحالف مع أحمد بن بلة فيما بعد أمر أسفرت نهايته بإتهام حسين أيت أحمد و محند ولحاج بمحاولة تقسيم الوحدة الوطنية .

إذن يتضح أن حسين أيت أحمد ، شكل جبهة القوى الإشتراكية حزب سياسي معارض ضم أغلبية مناضلي منطقة القبائل ، تلك التي كانت المسرح الأساسي لعملياته العسكرية ، إلا أن هذا الحزب لم يطالب بالثقافة البربرية ، الشيء الذي لامه عليه الكثير من أهل النزعة البربرية ، مما يبين هدفه الوحيد ألا وهو الإستحواذ على السلطة ، الأمر الذي شجع بعض العناصر على تشكيل خلية مصغرة للتفكير في مصير و مستقبل المسألة البربرية في الجزائر المستقلة .

> **" تم تأسيس خلية صغيرة بالجزائر تضم ثلاثة جامعيين ذوو الأصل القبائلي : عمار عبودة ، مولود معمري ، و مبارك رجالة . إن إلقاء القبض على رجالة و إعتقاله من ماي إلى غاية أوت 1965 ، و كذا الإختلافات ذات الطابع السياسي و الإيديولوجي التي ظهرت من بعد ، أدت إلى القضاء على هذه المجموعة الأولى التي بدأت تفكر في مستقبل اللغة البربرية في الجزائر بعد إستقلالها . "** (1)

1- ALI GUENOUN , CHRONOLOGIE DU MOUVEMENT BERBERE . ALGERIE : CASBAH EDITIONS , 1999 , P 29 .

في كل حال من الأحوال ، و إستنادا إلى النصوص الصريحة لدستور 1963 التي تبنت من خلالها حكومة أحمد بن بلة سياسة العروبة دون الإشارة إلى الثقافة البربرية - الشيء الذي لم يكن منتظرا من طرف ذوو النزعة البربرية مباشرة بعد الإستقلال - خاصة و أنه أول قانون رسمي للجزائر المستقلة ، تتضح لنا جليا الأسباب التي إستند عليها حسين أيت أحمد ، الزعيم الروحي لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، ليدخل في صراعات مع السلطة القائمة التي خلت قوانينها الرسمية بوضوح من الإشارة إلى التراث البربري .

" كان الإسلام و اللغة العربية يمثلان قوى المقاومة الفعالة ضد محاولة الإستعمار في طمس شخصية الجزائريين . إنه لعلى الجزائر أن تؤكد على أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية الرسمية ، و أنها تستمد قوتها الروحية الأساسية من الإسلام ." (1)

إندرج ميثاق الجزائر 1964 ضمن سياسة نظام الحكم القائم ، حيث جاء في إطار مؤتمر حزب جبهة التحرير الوطني في أفريل من نفس السنة ، و هو بمثابة برنامج عمل و تصور لبناء الدولة على أسس عربية إسلامية ، تحدد وحدها معالم الشخصية الوطنية ، كان سببا في إستمرار المعارضة ، خاصة و أنه لم يتعرض البتة لأية مناقشة شعبية تدلي برأيها حول بعض القضايا التي تهمها مباشرة ، كتلك المتعلقة بموضوع الهوية الوطنية .

إنطلاقا من هذه المبادىء ، تعتبر حكومة الرئيس أحمد بن بلة كل معارضة للنظام القائم بمثابة العدو للأمة الجزائرية ، التي تحتاج إلى وحدتها لبناء الدولة ، تماما كما كانت تحتاج إليها لتحدي الإستعمار ، و بالتالي يستوجب عليها إستعمال كل الوسائل المتاحة في سبيل القضاء على أي خطر قد يهددها ، و هي ترفع شعار لا مجال لوجود المعارضة السياسية لمبادئ الجمهورية القائمة أساسا على مبدأ أحادية الحزب ، حيث " غالبا ما يؤكد أحمد بن بلة على حماية القيم الخاصة بالأمة التي تسمح بالحفاظ على شخصية الشعب الجزائري ، و تمكنه من القيام بالثورة الإشتراكية دون إستأصاله عنها ." (2)

1- REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE , PREAMBULE DE LA CONSTITUTION DE 1963 .

2- YOUSFI , OP-CIT , P 25 .

ما يمكن ملاحظته من خلال ما سبق ، هو أن النظام الجزائري في عهد الرئيس أحمد بن بلة لم يكن قويا ، إذ أن الصراعات السياسية السائدة كانت تعبيرا صريحا على ذلك ، الأمر الذي سمح لأصحاب النزعة البربرية بالتحرك مستغلين هذا الضعف ، ساعين في سبيل إيجاد الثغرة المناسبة التي تسمح لهم بتثبيت قوتهم و فرض إيديولوجيتهم على الساحة السياسية .

ثانيا : <u>التطورات السياسية و طبيعة التصورات الجديدة للمسألة البربرية (1965-1978)</u>

إن التناقضات التي عرفها نظام الرئيس أحمد بن بلة كانت السبب المباشر لحدوث الإنقلاب العسكري (أو التصحيح الثوري كما يسميه البعض) الذي قام به العقيد هواري بومدين سنة 1965 ، ذاك الرجل العسكري الذي رفض أسلوب الرئيس بن بلة في تسيير بعض الأمور العسكرية ، خاصة إثر عقده لإتفاقيات سياسية مع مختلف قادة المعارضة التي كانت تواجهه ، سيما تلك الخاصة بالعقيد محند ولحاج ، المساند العسكري لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، إتفاقية من شأنها أن تلزم العقيد هواري بومدين على سحب جنوده من منطقة القبائل ، أين كان الصراع قائما ، الأمر الذي لم يكن له أن يتقبله .

إن هذه الأحداث لم تكن سوى تعبير صريح على تفاقم الخلاف بين العسكري العقيد هواري بومدين و السياسي الرئيس أحمد بن بلة.

" في الحقيقة كان الخلاف يدور حول الأحداث أقل مما كان يتعلق بالمبادئ ." (1)

تلك كانت الأسباب التي أدت إلى الإطاحة العسكرية بالنظام القائم ، في 19 جوان 1965 ، ليتكون مجلس الثورة في إطار القضاء على العناصر التي قد تشكل خطرا على النظام السياسي الجديد ، ليتم هروب (أو إطلاق صراح) حسين أيت أحمد ، الذي كان مسجونا ، إثر الصراعات التي سبق ذكرها .

1- HERVE BOURGES , <u>L'ALGERIE A L'EPREUVE DU POUVOIR</u> . NP : EDITION GRASSET , 1967 , P 108 .

" تقلصت المعارضة شيئا فشيئا لتستقر بالمنفى ، أين لم تتمكن حتى من الحصول على إهتمام المهاجرين ، و ذلك بفضل يقظة رابطة الجزائريين بأوروبا . " (1)

إن الإبتعاد عن سياسة التعريب سوف يمس بصفة مباشرة بلغة الإسلام ، علما أن ذلك سيكون عاملا من شأنه أن يشتت وحدة الشعب الجزائري في الوقت الذي كانت تحتاج فيه الجزائر إلى كل الطاقات مع الإبتعاد عن كل ما قد يفرق وحدة الصفوف ، بما أنها الفترة التي تضمنت الخطوة الأولى لبناء الدولة القائمة على مشروع مجتمع .

لقد سعى النظام السياسي في السبعينات من أجل جعل الحديث عن البربرية من الممنوعات الصارمة ، مدعما إيديولوجية التعريب ، خاصة و قد طال العناء من مواجهة فرنسا الإستعمارية للثقافة العربية ، فقد عمد السيد رئيس الجمهورية في ذلك الوقت إلى حل حلقة الدراسات البربرية (C.E.B) و الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين ، جراء أعمال الشغب و المظاهرات العنيفة التي قام بها الطلبة .(2)

في هذا الإطار ، لا بد من التذكير أن منطقة القبائل ظلت المنطقة التي لم تنجح فيها سياسة التعريب ، – و ذلك حسب الدراسة المقدمة من طرف الباحث م حداب – ، و أن بلاد الأوراس (على الرغم من كونها منطقة لا تقل بربرية عن بلاد القبائل) ، تبقى المنطقة الأكثر تقبلا لسياسة التعريب ، إذ أن السبب في ذلك يكمن في رفض أهل القبائل لتبنيها (3) على الرغم من تكثيف الدولة لوسائلها ، المتمثلة في معاهد العلوم الإسلامية ، التي كان من أبرزها ذاك الموجود بمنطقة بني دوالة .(4)

من خلال ما سبق ، يتضح لنا جليا أن فكرة المطالبة بالإعتراف الرسمي بالثقافة البربرية ، ظلت دوما فكرة مرتبطة بالظاهرة

1- YEFSAH ,OP-CIT , P 153.

2- GUENOUN , OP-CIT , p 32 .

3- YEFSAH , OP-CIT , p 414 . IN : M . HADDAB , EDUCATION ET CHANGEMENTS SOCIAUX CULTURELS : LES MONITEURS DE L'ENSEIGNEMENT ELEMENTAIRE EN ALGERIE . ALGERIE : OPU / CNRA , 1979 , P 103.

4- YEFSAH , OP-CIT , P 415 .

الإستعمارية ، إذ يكمن السر في ذلك في الدور الذي لعبته فرنسا خلال تواجدها بالجزائر في خلق و توظيف الظاهرة البربرية لما يخدم مصالحها الخاصة ، العامل الذي ساعد النظام السياسي القائم على تعزيز سياسة التعريب ، مقررا أن تعتمد البلاد دستوريا اللغة العربية كلغة رسمية وحيدة ، الشيء الذي لقي صدى إيجابيا لدى أغلبية الرأي العام ، الذي كانت نفسيته مهيئة لتقبل ذلك من جهة ، و الذي لقي تعصبا نسبيا لدى البعض الآخر (ذوو النزعة البربرية) الذي لم يكن له أن يظهره علنيا من جهة أخرى .

أ/ تأسيس الأكاديمية البربرية في فرنسا : يظل بقاء النظام الجزائري للسبعينيات سائرا على أسس و قوانين الجمهورية التي تضمنها الدستور الوطني لسنة 1963 ، و ذلك إلى غاية إنشاء دستور 1976 ، دليل واضح على أن استراتيجية النظامين (بن بلة و بومدين) لا تختلف في مضمونها ، قائمة على أسس ثابتة : العروبة و الإسلام و الإشتراكية ، وضعية دفعت بالعناصر البربرية النشيطة إلى البحث عن المهد الذي يستطيع إحتضان مطالبها ، فكانت أرض فرنسا الموطن الأكثر خصبة ، أسس به مجموعة من المناضلين البربر الجمعية البربرية للتبادلات و الأبحاث الثقافية (A.B.C.R.C) بباريس ، تمثل هدفها الأساسي في التعريف بالثقافة البربرية و اللغة البربرية و نشرهما ، تحولت في الثالث فيفري من سنة 1967 إلى الأكاديمية البربرية على يد السادة : رحماني ، وهو ضابط سابق في الجيش الفرنسي قبل أن يلتحق بالثورة التحريرية ضمن صفوف جبهة التحرير الوطني ، السيد حنوز ، وهو ممول المشروع ، السيد سليمان عازم ، و هو مغني ، السيد حميسي ، منشط إذاعي ، حيث يتضح أن كل هذه الشخصيات هي عناصر بربرية من منطقة القبائل تحمل الجنسية الفرنسية ، هذا إضافة إلى السيد بسعود أحد أوائل مناضلي جبهة القوى الإشتراكية الذي لعب دورا فعالا في إعادة تنظيم هذه المؤسسة التي تميزت بالطابع الفرنكفوني منذ نشأتها ، الأمر الذي جعلها تعيش مشاكل داخلية ، سببها معارضة بعض الشباب المنتمي إليها ، هذا إضافة إلى بعض المشاكل المتعلقة بمسائل الأموال و التزوير . (1)

1- أحمد بن نعمان ، فرنسا و الأطروحة البربرية . ط 2 ، الجزائر : دار الأمة ، 1997 ، ص ص 229-231 .

بهذه الطريقة تستمر فرنسا في تأطيرها للقضية البربرية ، محتوية مرحلة جديدة من مراحل تطورها ، مستغلة هذه المرة فرصة النظام السياسي لسنوات السبعينات للتعليم بالبربرية ، لتقرر جامعة باريس III تدريس اللغة البربرية و ذلك إبتداءا من تاريخ 29 جانفي من سنة 1973 .(1)

ب/ حقيقة النصوص القانونية و ميولاتها الإيديولوجية : إن النظام السياسي الجزائري في هذه الفترة من التاريخ ، إستنادا إلى الأحداث المتعلقة بصراعات النظام الأسبق ، و ضمانا لإستمراريته ، اتسم بالحذر و الحيطة لتفادي نشوء أي نوع من المجابهة ، متحصنا بقوانين دستورية من جهة ، و بمجموعة من الأجهزة الحزبية المؤطرة له من جهة أخرى ، تلك التي تمثلت في الإتحاد العام للعمال الجزائريين ، الإتحاد الوطني للنساء الجزائريات الإتحاد الوطني للفلاحين الجزائريين ، و الإتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية ، أجهزة إيديولوجية موضوعة تحت الرقابة الصارمة لحزب جبهة التحرير الوطني ، مهامها بيروقراطية بحتة خاضعة في توجهاتها للسلطة الثورية ، التي تسعى في سبيل توحيد و تجنيد طاقاتها لبناء الدولة الجزائرية ، و ليحكم بذلك على كل تيار خارج عن هذا النطاق الموحد بالإعدام .

إن تفسيرنا لتبني هذه السياسة ليس بالعبقري ، بما أن النظام الدستوري في الجزائر قائم على أحادية الحزب ، حيث تتولى قيادته عملية توجيه و مراقبة سياسة البلاد ، تلك التي إفتقرت خلال هذه الفترة من الحكم من كل الممارسات الديمقراطية ، مهما كان نوعها أو شكلها ، خاصة و أن حزب جبهة التحرير الوطني هو الحزب الواحد و الوحيد الذي يخول له القانون تنظيم و تعبئة الجماهير في سبيل تحقيق هدف مشترك ، و ما إتخاذه للأجهزة الإيديولوجية السابقة الذكر ، إلا وسيلة لإشراك الجماهير الشعبية المختلفة في ذلك الأمر .

" المنظمات الجماهيرية ، بإشراف الحزب و مراقبته مكلفة بتعبئة أوسع فئات الشعب لتحقيق كبريات المهام السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية التي تتوقف عليها تنمية البلاد و النجاح في بناء الإشتراكية .

المنظمات الجماهيرية مكلفة دون غيرها بمهمة تنظيم =

1- GUENOUN , OP-CIT , P 34.

= العمال و الفلاحين و الشباب و النساء ، و العمل على تعميق وعيهم لمسؤولياتهم و للدور المتعاظم الذي يجب أن يضطلعوا به في بناء الوطن ." (1)

إعتمد السيد رئيس الجمهورية في السبعينات في بناء النظام ، على أسس سياسية إتخذت طابعا فلاحيا ، صناعيا و ثقافيا ، تمثلت في كل من الثورات الثلاث : الثورة الزراعية ، الثورة الصناعية ، و الثورة الثقافية ، تلك التي كانت تهدف في شكلها و مضمونها و كذا بأسلوبها المقدم للأمة ، إلى صياغة عامة و ثابتة لمفهوم وحدة الأمة الجزائرية ، التي - حسبها - لا يمكن لها أن تكون خارج الإطار العربي الإسلامي ، الوحيد الذي يمكن له أن يحوي مقومات الشخصية الوطنية لكل جزائري ، مهما كانت المنطقة الجغرافية التي يتواجد بها داخل الوطن .

ما يمكن استخلاصه تلقائيا من جراء ذلك هو حكم النظام على كل ثقافة من غير العربية الإسلامية ، بالدخيلة ، و بعامل التفرقة بين عناصر المجتمع الجزائري ، لا يمكنها أن تخدم في أي شكل من الأشكال الوحدة ، التي يسعى النظام السياسي عن طريق الثورة الثقافية إلى تحقيقها ، ليحكم بذلك أيضا على كل محاولة يكون مضمون مطلبها ذو علاقة بهذا العامل المفرق ، بالعدو الذي أعلن صراحة عدوانه على مبادىء الثورة الجزائرية ، بما أنه يمس بوحدة الأمة المقدسة ، متأثر بالنوايا الإستعمارية لفرنسا المعرقلة دون شك لبناء الدولة ، الأمر الذي جعل السلطة في ذلك الوقت لا تتردد أبدا في معاقبة هؤلاء ليكونوا عبرة في المستقبل ، مستندة إلى أجهزة الدولة لتطبيق سياستها الثورية الخاصة بالتعريب ، لاجئة إلى شن حملة لبناء و تشييد دور الثقافة عبر مختلف مناطق التراب الوطني ، وسائل يتم من خلالها تنظيم و توجيه رسالتها ، بأساليب تتباين بين الكتاب و الموسيقى .

ما يجلب الإنتباه في هذا الموضوع بالذات ، هو تبني الدولة لهذه الأجهزة ، سيما وسائل الإعلام منها ، السمعية ، البصرية ، أو المكتوبة لشكلين متوازيين : أولهما عربي محافظ ، و ثانيهما فرنكفوني عصري ، إذ كانت تصدر باللغتين ، العربية الفصحى و الفرنسية ، الأمر الذي يجعلنا

1- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، دستور 1976 . المادة 100 ، ص ص 42-43 .

نلتمس نوعا من التناقض بين الأهداف المتوخاة من خلال سياسة التعريب المتبناة من جهة ، و استعمال اللغة الفرنسية بالموازاة مع اللغة العربيـة ، اللغة الرسمية للبلاد من جهة ثانية .

إن هذا التناقض ما هو في الحقيقة إلا شكلي فقط ، لماذا ؟ لأن الإجابة عليه ، أو بالأحرى سر وجوده يرتبط إرتباطا مباشرا بوضعية النخبة الموجودة آنذاك ، لتكون الثقافة الفعلية للبلاد هي ثقافة نخبوية : أولاهما عصرية فرنكفونية ، و ثانيهما تقليدية عربية ، ما يجمع بينهما أن كلتاهما ثوريتين .

ما يمكن إستخلاصه من خلال ذلك ، هو إرادة السلطة المتناقضة في محاولة خلق نموذجين ثقافيين متناقضين تماما ، شكلا و مضمونا (نموذج أوروبي غربي ، و نموذجي عربي تقليدي) ، الهدف منه هو خلق نموذج ثقافي يمكن لكلا طرفي النخبة الوطنية الإنصهار فيه دون أن ينافس أي واحد منهم الثاني .

نفس الملاحظة بالضبط يمكننا أن نطبقها على الثورة الزراعية من جهة و الثورة الصناعية من جهة أخرى .

السؤال الذي يطرح نفسه الآن يدور حول موضع الثقافة البربرية في هذه الفترة ، هل فعلا كانت منعدمة الوجود بين النمطين الثقافيين السابقي الذكر ، أم أن وجودها إتخذ شكلا مخالفا ؟

إن تواجد الثقافة البربرية ظل قائما ، على الرغم من أن شكله الملموس إقتصر على الفن و الطرب و الفلكلور ، لكن هل العيب هنا يبقى محدودا في دور السلطة القائمة ؟

من خلال ماسبق ، يتضح لنا جليا أن النموذج الثقافي المعتمد في السبعينيات ، ما هو إلا سياسة ثقافية موازية للسياسة الزراعية و الصناعية المصاغة في الثورات الثلاث ، دورها الأساسي هو إضفاء طابع الشرعية الشعبية على نظام الرئيس الراحل هواري بومدين ، ذاك الذي سعى جاهدا في

سبيل كسبها ، مستندا في ذلك إلى تجنيد كافة الهياكل و الوسائل الإيديولوجية المؤطرة للشعب ، تحت راية الوحدة الوطنية و الثورة القائمة على أساس ديني ألا و هو الإسلام ، الشيء الذي حقق له النجاح و الديمومة في ظل هدوء نسبي للشرائح الإجتماعية التي كانت تقتنع في كل مرة أن ما يقدم لها من قرارات سياسية ، هي قرارات ذات طابع ثوري بحت ، نابعة مهما كان شكلها أو مضمونها من الإرادة العامة للشعب ، و أن أهدافها تخدم حتما الصالح العام .

تخللت فترة حكم الرئيس الراحل هواري بومدين ، تحركات لأصحاب النزعة البربرية ، و ذلك على الرغم من السياسة المتبناة ، إذ عرفت المسألة تحولا في مسارها السياسي أدى بهم إلى الخروج إلى الشارع لتبين سخطهم و إستياءهم للسياسة الثقافية المعتمدة من طرف السلطة ، رافعين شعار الثقافة و اللغة البربرية ، طارحين بذلك مشكل الهوية الوطنية .

لقد عرفت سنة 1976 منعرجا خطيرا في تاريخ المسألة البربرية في الجزائر ، إذ أن بعض العناصر البربرية قامت بوضع قنابل متفجرة ببعض المواقع الحساسة ، كالمحكمة العسكرية بقسنطينة ، بمقر يومية المجاهد بالعاصمة ، و بالمحكمة العسكرية بوهران ، الأمر الذي إنتهى بمحاكمة هذه العناصر المتمثلة في كل من : محمد هارون ، لوناس قاسي ، حسين شرادي ، و محمد اسماعيل مجبر .(1)

إن هذا الوضع يفسر لنا الأسباب التي أدت بالسلطة إلى تشديد الرقابة حول العناصر المشبوهة ، ذاهبة إلى حد منع بعض الأغاني القبائلية من الصدور شعبيا ، خاصة السياسية منها ، تلك التي يتناول من خلالها أصحابها موضوع الهوية الوطنية .

ج/ هل إختفت فعلا المعارضة البربرية ؟ إن هذه الفترة لم تخل بدورها من المعارضة البربرية ، حقيقة لم يسمح النظام السياسي القائم على أساس الحزب الواحد بتشكيلها داخل أرض الوطن ، لكنها تشكلت بمهدها الأول فرنسا على يد محند علي يحي المدعو رشيد ، أحد محرضي الأزمة

1- GUENOUN , OP-CIT , P 34.

البربرية لسنة 1949 ، مؤسسا الجبهة الموحدة للجزائر الجزائرية (F.U.A.A) ، معلنا من خلالها معارضته لنظام الرئيس الراحل هواري بومدين ، و مجددا من خلاله مثابرته من أجل الهوية الوطنية و المسألة اللغوية و الثقافية البربرية ، على الرغم من أنه لم يحض بتأثير واسع على العناصر البربرية في الجزائر . (1)

اتخذت المعارضة أيضا أشكالا أخرى ، تمثلت في رفع الشعارات المناهضة للسلطة ، كأسلوب اعتمده المناضلون البربر ليبينوا غضبهم شعبيا ، إذ يتضح لنا ذلك جليا من خلال المباراة النهائية لكرة القدم التي جمعت بين فريقي نصر حسين داي و شبيبة القبائل ، الأمر الذي دفع المسؤولين المركزيين إلى البحث عن وسيلة جديدة لتهدئة الأوضاع ، و التي تمثلت في إتخاذ قرار فتح المركز الجامعي لتيزي وزو (C.U.T.O) ، أسلوب ذكي لإحتواء المشكل بصفة سلمية لمدة مؤقتة ، إذ أنه صار فيما بعد مسرحا لعدة إضرابات فريدة من نوعها في ذلك الوقت .

> **" من خلال المقابلة النهائية لكأس الجزائر لكرة القدم ، الجامعة بين شبيبة القبائل و نصر حسين داي ، رفع المناصرون القبائل شعارات ضد الرئيس بومدين ، المتواجد بالمنصة الشرفية ، و ضد النظام ، مثل : شبيبة القبائل إيمازيغن ، تحيا اللغة البربرية ، تسقط الديكتاتورية و تحيا الديمقراطية . "** (2)

بصفة عامة ، استمرت السلطة في محاولات إحتواء المسألة البربرية ، ساعية لإبعادها بكافة الطرق عن الساحة السياسية الوطنية ، متعاملة معها بأسلوب الشدة و الحزم .

" إن السلطة التي كان يمثلها ، كانت تمنع طاوس عمروش من أداء قصائد بربرية لمنطقة القبائل ، في الوقت الذي كانت فيه كل إفريقيا مدعوة للعرض بالجزائر العاصمة ." (3)

1- IBID , P 38 .
2-IBID , P 39.
3- YEFSAH , OP-CIT , PP 406-407.

تبقى بهذا الشكل المسألة البربرية مرتبطة إرتباطا وثيقا بالمبدأ الديمقراطي ، بل بالممارسة الديمقراطية في الجزائر ، تلك التي كانت منعدمة الوجود في ظل النظام السياسي للرئيس الراحل هواري بومدين ، نظام الحزب الواحد .

" هل خلق النظام بهذا الشكل محرما ...في الحقيقة فإن اللغة البربرية هي حاملة للتعددية ، و منه الديمقراطية ، الشيء الذي يتسبب في تهميشها بل و في رفضها . لن يتقبلها النظام إذن ، بالنظر إلى طبيعته ." (1)

في ظل الشدة التي تميزت بها السلطة السياسية من جهة ، و تحركات العناصر المناضلة البربرية التي كانت تقمع في كل مرة من جهة أخرى ، بات الملجأ الوحيد الباقي للنضال هو حزب جبهة القوى الإشتراكية ، الأمر الذي أدى إلى إنضمام عدد كبير من الطلبة البربر و مناضلي المسألة البربرية إليه ، محتويا و مؤطرا إياها .

إن نهاية فترة السبعينات كادت أن تشهد تفجيرا للأحداث ، سيما مع تحول أفكار هذه العناصر حول النضال من أجل قضيتهم لتتخذ طابع العنف ، محاولة جلب الأسحلة من المغرب الأقصى نحو ولاية بجاية بمنطقة القبائل الصغرى ، مناورة كانت تهدف إلى قلب نظام الرئيس الراحل هواري بومدين ، غير أن هذه العملية لم تكن بالناجحة ، و ذلك نظرا لفعالية أجهزة الأمن العسكرية التي استطاعت أن تتحكم في الأمور بصفة تامة ، هذا إذا لم نرجح الأطروحة القائلة بأن هذه العملية ما هي إلا أسلوبا مخططا من طرف أجهزة الأمن العسكري للقضاء على هذه العناصر المشاغبة ، المهددة لإستقرار أمن الدولة ، ذاك الذي نراه أسلوبا شرعيا ، تسعى الدولة من خلاله إلى الحفاظ على وحدة هذا الوطن و إستقراره .

" إن هذه القضية في الحقيقة ، كانت معروفة مسبقا من طرف الأمن العسكري الذي تسرب داخل صفوف الجماعة المنازعة ، المتكونة من شخصيات تاريخية =

1- IBID , P 409 .

= مثل محمد بن يحي ، فرحات عباس ، بلعربي بوجولود أحمد قادري ... هؤلاء الذين سيقدمون أمام العدالة – ما عدا فرحات عباس – حيث سيتم إصدار الحكم في شأنهم من طرف المحكمة العسكرية للبليدة ، و ذلك بعقوبات تمتد حتى 12 سنة سجن ." (1)

د/ النخبة الفرنكفونية و المسألة البربرية : إن هذه الأحداث ما هي سوى آثار واقعية خلفها الإستعمار الفرنسي ، الذي عمر بالجزائر 132 سنة ، تلك المتعلقة أساسا بالجهل الذي ألحق بدوره أضرارا بليغة بشخصية الشعب الجزائري ، سواء من حيث المساس بثقافته القومية ، أو من حيث طمس حقائق تاريخه وفقا لما يخدم مصالح فرنسا الإستغلالية .

ما يجب الوقوف عنده وقفة تأمل ، هو نجاح ثورة صنعها شعب أغلبيته من الأميين ، الأمر الذي لا يمكن أن يفسر إلا بقوة الإيمان الروحية التي كانت تجمع بين كافة التيارات الثورية ، لتوحد بين صفوفها و تجعلها تقف وقفة رجل واحد في وجه الإستعمار الفرنسي ، ذاك الذي لم يبخل قط في توظيف كل طاقاته من أجل التشتيت ، التفرقة و بعث روح الإنشقاق بين صفوف عناصر الحركة الوطنية .

لم ينته الأمر عند هذا الحد ، إذ أن السلطات الفرنسية لم تبرح الأراضي الجزائرية إلا بعد أن تيقنت بأن آثارها ستظل قائمة ، و أنها قادرة على تحريك بعض العناصر الوطنية وفقا لما يخدمها ، حتى و هي بعيدة عنها ، تلك العناصر المتمثلة أصلا في بربر منطقة القبائل الذين تفرنسوا لغة منذ وقت مضى ، شاغلين المناصب الثانوية في الإدارة ، سيما في العاصمة التي لا تبعد كثيرا عن منطقة القبائل ، تلك التي إتضح مباشرة بعد الإستقلال ، أنها النخبة الوحيدة للبلاد ، الأمر الذي جعلها تحتل المناصب الرئيسية في الإدارة خلفا للإطارات الفرنسية (2) ، إلا أنه جد الجديد فيما بعد بظهور سياسة التعريب التي تضمنتها القوانين الرسمية للبلاد ، فنشأت بذلك نخبة جديدة معربة لتقف ندا للنخبة المفرنسة ، مهددة مصالحها ، مما جعل هذه الأخيرة تحس بالخطر .

1- GUENOUN , OP-CIT , PP 41-42 .

2- بن نعمان ، مرجع سابق ، ص 255 .

كرد فعل تلقائي ، تحركت هذه الكوادر الفرنكفونية لتعيد توظيف الورقة البربرية حفاظا على مصالحها و مكتسباتها ، لترفع من جديد شعار الثقافة البربرية و اللغة الأمازيغية ، وسيلة جديدة نعتبرها ، استعملتها فرنسا و هي على أرضها لتزعزع استقرار الجزائر المستقلة ، مانعة تعاون النخبتين معا من أجل بناء دولة قوية ، تخوض مسارها في مجال التنمية .

تلك هي نظرتنا لتطور ظاهرة النزعة البربرية من زاويتها السياسية مباشرة بعد الإستقلال الوطني ، لنثبت مرة جديدة أن هذه الظاهرة ما هي إلا ورقة سياسية تستعملها فرنسا كلما شاءت لضرب المكتسبات الوطنية .

كما لا يفوتنا أن ننوه في هذا الإطار ، و كسياسة مقابلة بمجهودات الدولة الجزائرية المستقلة من أجل التعبئة الجماهيرية للقضاء على التخلف و التنمية الثقافية ، بدءا من بناء الدولة الإشتراكية ، و تحقيق أهداف الثورة الثقافية ، التي يصفها الميثاق الوطني لسنة 1976 بأنها " جهد تربوي واع يرمي إلى محاربة كل الأحكام المسبقة المتعلقة بالعرق أو الطبقة أو الجنس أو المرتبطة بالعمل اليدوي ." (1)

من خلال ما سبق ، نخلص إلى أن موضوع الهوية الوطنية لم يطرح بصفة سليمة ، بل و لم يتعامل معه أيضا بصفة سليمة ، و ذلك منذ بدايته مع ظهور الحركة الوطنية ، إذ يرجع الأمر في ذلك إلى كل من أسلوبي طرحه و معالجته على حد سواء ، فقد كانت المسألة و ظلت أمرا يمس بالوحدة الوطنية ، تلك المعتمدة كسلاح للتصدي إلى العدو الإستعماري ، و تلك الضرورية لبناء الدولة الجزائرية المستقلة .

حسب رأينا ، فإن هذه المسألة قد خلقت طرفي خلاف حول موضوع واحد ألا و هو الهوية الوطنية ، الأول متكون أساسا من ذوي النزعة البربرية ، و الثاني متكون من هؤلاء المتأثرين بالثقافة العربية الإسلامية ، بمرور الوقت تفاقمت الهوة بين الإثنين ، إمتدت حتى بعد الإستقلال الوطني ، الشيء الذي زاد من حدة المشكل ليأخذ في نهاية سنوات السبعينات منعرجا جديدا بوادره خطيرة ، سيما و أن الأيادي المحركة له تبقى فعالة جدا .

1- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، الميثاق الوطني لسنة 1976 . ص 92 .

يبين الواقع أنه في كل مرة تطرح فيه هذه المسألة ، يضحى الطرف الثاني هو الذي يمثل الكفة الأكثر وزنا ، لتبقى الكفة الأولى في وضع يجعلها تجدد مطالبها البربرية بشكل أو بآخر ، و ما إدراج سياسة التعريب كسياسة ثقافية رسمية للبلاد إلا دليل واضح على ذلك .

من خلال هذه النقطة بالذات ، نرى أن إختيار السلطة الثورية لسياسة الثقافة العربية الإسلامية ، إختيار من شأنه تعزيز مبدأ الشمولية و الوحدة التي تسعى من خلالها إلى لم شمل كافة أفراد الشعب الجزائري ، فحتى و إن كان هؤلاء من ذوي النزعة البربرية مستائين لهذا الإختيار ، فإننا نرى أن الأمر يبقى مرتبطا بموضوع التعددية و الديمقراطية ، التي لم يكن وجودها قائما ، ربما الأمر يرجع للظروف التي كانت سائدة ، و التي هي مرتبطة أساسا بمخلفات الإستعمار الفرنسي في شتى أشكالها .

نرى أيضا أن إعتراف السلطة دستوريا مباشرة بعد الإستقلال بالثقافة البربرية كثقافة شعبية وطنية يعتز بها كل جزائري إلى جانب الثقافة العربية الإسلامية ، حق لا بد من التذكير به ، و أن الإخلال به قد أثر سلبا على الأفكار ، الشيء الذي شكل نقطة ضعف هامة تستغلها بعض الأطراف الداخلية المحركة من طرف الأيادي الخارجية لفرنسا الإستعمارية ، تلك التي تفتخر – و لو بصفة غير مباشرة – ببقاء الورقة البربرية بحوزتها ، تحركها وقت ما شاءت لضرب مكتسبات الثورة الوطنية .

كانت تلك في نظرنا بوادر من شأنها أن تقر استمرار الهوة بين بعض فئات المجتمع و السلطة القائمة ، موضوعها الأساسي الهوية الوطنية ، طابعها سياسي اجتماعي ، و إطارها بربري ، لم تكن لتأخذ شكلا علنيا نظرا لطبيعة السلطة الثورية ، لكنها لم تأخذ وقتا طويلا لتنفجر على الساحة السياسية .

إتسمت إذن الحركة البربرية في ظل نظام حكم الرئيس الراحل هواري بومدين بالسرية ، أمر نربطه بطابع القوة الذي ميز الدولة في هذا العهد ، حيث كان النظام محكما و قويا لم يسمح بظهور أي نوع من الخلافات أو الصراعات ، مما جعل الحركة البربرية تنشط في حالة سرية تامة

بل و تخمد كلما حاولت الظهور ، خاصة و أن شخصية الرئيس الراحل هواري بومدين تميزت بالشخصية القوية الثابتة .

المبحث الثالث : العنف البربري كأسلوب جديد للتعبير (1979-1988)

إن تعامل النظام السياسي الجزائري مع هذه المسألة التي لازمها الطابع السري مدة طويلة ، دفع بها للخروج إلى الشارع ، كأسلوب أول من نوعه تعتمده عناصرها المحركة للتعبير عن مطالبها ، لتدخل الحركة البربرية جولة جديدة من نوعها الأول ، مواكبة التحولات التي عرفها النظام السياسي الجزائري ، حيث تقلد في هذه الفترة الرئيس الشاذلي بن جديد منصب رئيس الجمهورية ، شخصية إتسمت بالضعف و قلة الخبرة السياسية مقارنة بسابقتها ، الأمر الذي إنعكس سلبا على الواقع السياسي لتكون بذلك الدولة ضعيفة هشة ، قابلة لأن تتخللها ثغرات حجمها لا يستهان به .

أولا : الربيع البربري و نشوء ظاهرة العنف .

إن كل الأحداث السياسية التي سبقت و أن طبعت البلاد ، خلفت أوضاعا ما هي إلا تعبير صريح على الخلافات الموجودة فعليا ، تلك التي تفاقمت بمرور الوقت لتبلغ ذروتها بداية الثمانينات .

إن السلطات الجزائرية بعد الإستقلال منعت العودة إلى الأحزاب و الجمعيات التي غادرها أصحابها ليلتحقوا بحزب جبهة التحرير الوطني ، حيث كان ذلك بالنسبة لهذه السلطات أسلوبا ضروريا للحفاظ على الوحدة الوطنية ، ومع ذلك إستمرت نضالات العناصر البربرية المطالبة بإعادة النظر في مسألة الهوية الوطنية ، مع مطالبتها بالإعتراف الرسمي للسلطات الجزائرية باللغة البربرية كلغة وطنية موازية للغة العربية .

في نفس الوقت ، تمسكت العناصر الوطنية المناهضة لهذه الأفكار باللغة العربية كلغة وطنية وحيدة لا يمكنها أن تقبل أي منافس لها بصفتها لسان دين الأمة ، ذاك الذي تربطه بها علاقة روحية إلاهية ، لا يمكن

أبدا في نظرهم الجدال فيها ، الأمر الذي يجعلهم يرفضون رفضا مطلقا كل مناقشة موضوعها يدور حول ترسيم أو إعتماد لغة أخرى كلغة وطنية و رسمية متيقنين أن الإعتراف باللغة البربرية دستوريا هو العودة الرسمية للفرنكفونية إستنادا إلى أن هذه اللغة تكتب بأحرف لاتينية ، و أنه تدعيم لإستمرار الوجود الفرنسي بالجزائر المستقلة .

في ظل تفاقم الإختلاف في وجهات النظر حول موضوع المسألة البربرية ، إزدادت شدة الصراع بين الطرفين ، ليصبح النزاع قائما و الضغط في ذروته القصوى ، الأمر الذي ولد الإنفجار في ربيع 1980 ، ليكون حدثا تاريخيا يستعاد ذكراه في كل ربيع من كل سنة ، و هو ما يعرف بالربيع الأمازيغي أو البربري ، فأخذت بذلك الأزمة حجما جديدا .

بعد المحاولات السابقة الذكر لأصحاب النزعة البربرية ، الذين كادوا أن يحولوا نضالهم إلى حرب أسلحة ، عمدت السلطات الجزائرية في شهر مارس من عام 1980 إلى منع مولود معمري ، المصحوب بسالم شاكر و هو باحث في الميدان اللغوي البربري ، من إلقاء محاضرة حول القصائد الشعرية القبائلية القديمة بجامعة تيزي وزو ، و ذلك بحجة أن هذه المحاضرة قد تحدث مساسا بالنظام العام ، إلا أن السلطات الجزائرية لم يكن لها لأن تتنبأ بأن منعها لإلقاء هذه المحاضرة ، هو السبب المباشر الذي يعد بمثابة القطرة التي أفاضت الكأس ، و أنها بذلك القرار الذي اتخذته قد تسببت في المساس بالنظام العام ، إذ أن طلبة جامعة حسناوة بتيزي وزو قد خرجوا إلى الشارع في مظاهرات شملت جميع أنحاء مدينة تيزي وزو ، رافعين شعارات مناهضة للنظام السياسي القائم ، و أخرى متعلقة بحقوقهم اللغوية و الثقافية ، إنتهت بإعتقال عدد كبير من العناصر البربرية التي كانت لها يد في هذا الموضوع ، لمحاكمتهم قضائيا من بعد ، و الزج بهم في سجن البرواقية بولاية المدية .

" إحتضنت تيزي وزو عدة مظاهرات عنيفة منذ 1980. لم يرض الناطقون بالبربرية بالدائرة الوحيدة – الثقافة و اللهجات الشعبية – التابعة

لجامعة الجزائر ، حيث كان الكثير يطالب بإدراج البربرية في المدارس " (1)

ثانيا : موقف النظام إزاء أحداث الربيع البربري .

إن رد فعل السلطات الجزائرية إزاء أحداث الربيع البربري ، لم يضع حدا نهائيا لهذه المظاهرات التي إنتقلت من منطقة القبائل نحو شوارع العاصمة ، حيث تدخلت لأول مرة قوات حفظ الأمن بساحة أول ماي التي إحتضنت تجمعا غفيرا ، من أجل محاولة حصار هؤلاء المتظاهرين في منطقة واحدة ، بهدف السيطرة على الوضعية لإعادة الهدوء و ضمان عدم إنتشارها بأماكن أخرى ، خاصة و قد مست نفس المظاهرات سفارة الجزائر بفرنسا .

مباشرة بعد عملية الإعتقالات التي قامت بها قوات الأمن لبعض العناصر من الطلبة المتظاهرين و المحرضين ، عمد الطلبة بجامعة حسناوة بتيزي وزو إلى عقد جمعية عامة ، تقرر من خلالها شن إضراب عام غير محدد ، و ذلك إلى غاية تلبية مطالبهم المتعلقة أساسا بإطلاق صراح كل المعتقلين ، مع الإعتراف الرسمي للدولة بالبربرية كلغة وطنية تدرس بالجامعات ، و كذا مطالب تدور حول حرية التعبير .

" قرر المضربون إحتلال المركز الجامعي ، و ذلك تلبية لمطالبهم (إطلاق صراح كل المعتقلين ، تدريس الأمازيغية و الإعتراف بها ، حرية التعبير ...) ". (2)

إن هذه الوضعية أسفرت على تكوين جبهة لتحرير القبائل البربرية المتواجدة في بلدان المغرب العربي ، بباريس في بداية سنوات الثمانينات ، و التي " ضمت عددا من المثقفين و السياسيين ذوو الأصل البربري ، و على رأسهم حسين آيت أحمد ... و طالبت هذه الجبهة

1- MICHEL MOURRE , LES BERBERES . IN : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE D'HISTOIRE , TOME 1 , FRANCE : PRESSE DE L'IMPRIMERIE BERGER LEVRAULT , 1989 , P 543 .

2- GUENOUN , OP-CIT , P 45 .

بإقامة دولة مستقلة للبربر في مناطق إقامتهم في كل من المغرب ، الجزائر و موريطانيا ." (1)

رد فعل السلطات لم ينجح في توقيف المظاهرات ، التي استمرت بتيزي وزو و إمتدت مباشرة بعد منع المغني فرحات مهني من الغناء بسيدي عيش بولاية بجاية ، لتمس كل من مناطق : القصور ، أقبو و أميزور بولاية بجاية ، و كذا بوغني و وادية بتيزي وزو (2) ، و كأن النظام يلعب دورا معاكسا للإتجاه الذي يصبو إلى تحقيقه ، بل و كأنه يسعى عمدا لتفجير الوضعية لسبب من الأسباب ، إذ أن مصالحه شددت الرقابة الأمنية على منطقة القبائل في هذه الفترة ، التي إستمرت فيها المظاهرات و الإضرابات ، الشاملة لمستشفى محمد نادير و مصنع السونيلاك بتيزي وزو ، و كذا مركب سونيتاكس بذراع بن خدة .

نعتبر هذا الإضراب العام الذي شل منطقة القبائل ، أول إضراب من نوعه قامت به العناصر البربرية في تاريخ الجزائر ، و تحولا خطيرا في تاريخ الحركة البربرية في الجزائر ، إذ إتخذ طابعا لم يعهده من قبل تطوراته أثرت على كافة الشعب الجزائري ، بل و حتى على السلطات المركزية التي توجهت مباشرة بعد تفاقم خطورة الأحداث إلى ولاية تيزي وزو و على رأسها وزير التعليم العالي ، السيد عبد الحق برارحي (3) ، من أجل التحاور مع الطلبة المضربين ، مستعملا معهم أسلوب الشدة و الحزم ، محملا إياهم مسؤولية الأحداث ، محاولا تخويفهم لإعادة كسب ثقتهم بالدولة ، و إسترجاع مناخ الهدوء و الإستقرار بالمنطقة ، مندا بالأعمال التخريبية التي من شأنها تشويه سمعة البلاد ، واصفا إياها بأعمال الخونة الحركة (بسكون الـ ر) خاصة و قد وصل بهم الأمر إلى حرق الراية الوطنية بمنطقة واد أميزور.

لم يبق السيد رئيس الجمهورية حينئذ ، الشاذلي بن جديد صامتا أمام تطورات هذه القضية ، بل إستغل فرصة إختتام أشغال

1- علال الأزهر ، المسألة القومية و النزعة الأمازيغية و بناء المغرب العربي . ط 2 ، المغرب : دار الخطابي للطباعة و النشر ، 1988 ، ص 65 .

2- GUENOUN , OP-CIT , P 47.

3- IBID .

الملتقى الجهوي السادس للتخطيط ، المنعقد بالجزائر بقصر الأمم ، ليسلط الضوء على هذه الأحداث بنفس الأسلوب السابق الذكر ، أي ذاك الذي إتسم به تدخل السيد وزير التعليم العالي إثر زيارته لولاية تيزي وزو ، مذكرا أن الجزائر دولة عربية مسلمة ، و أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية الوحيدة للبلاد .

" يقول أننا تحدثنا عن اللغة الوطنية ، و ضرورة إعطائها مكانتها من جديد في ظل الدولة الجزائرية العربية المسلمة ، لكن لا يمكن أبدا التساؤل حول هويتنا ." (1)

من خلال هذا التدخل للسيد رئيس الجمهورية ، تحددت من جديد معالم الهوية الوطنية التي لا يمكنها أن تخرج عن إطارها العربي الإسلامي و ذلك على الرغم من كون الثقافة البربرية بكل ما تحويه ، باقية كتراث تعتز به الجزائر ، و أن مسألة النزعة البربرية المطروحة حاليا ، ما هي إلا ظاهرة حلت مع دخول الإستعمار الفرنسي الذي لا زال يتحكم في أوراقها حتى بعد مغادرته التراب الوطني ، و عليه نقول أن النظام السياسي قد عبر عن حكمه على هذه المظاهرات بالمحاولة الإستعمارية الجديدة لفرنسا ، إستنادا إلى تدخلها غير المباشر في الشؤون الداخلية للبلاد ساعية من أجل زعزعة الإستقرار الوطني .

> **" هناك أيضا قضية الإضرابات في بعض القطاعات الطلابية ، و بخاصة أبناؤنا الذين يدرسون باللغة الوطنية و أحب أن أقول في هذا المجال بالذات بأننا نسير في الإتجاه الذي يؤكد إيماننا بعروبتنا و بإسلامنا و بإشتراكيتنا و ليس من حق بعض العناصر و أقصد العناصر المغرضة أن تعطينا دروسا في العروبة أو الإسلام أو الوطنية ."** (2)

1- IBID , P 48 .

2- رئاسة الجمهورية ، <u>خطاب الرئيس الشاذلي بن جديد أمام السلطات المحلية لولايات الجمهورية</u> . يوم 16 جانفي 1980 ، ص 28 .

على الرغم من أسلوب الشدة الذي تميز به الخطاب السياسي خاصة بعد التهديدات التي قدمها السيد وزير التعليم العالي ، القاضية بفصل كل الطلبة و الأساتذة الذين لن يلتحقوا بمناصبهم ، إلا أن الإضراب تواصل ، حيث تمكن المضربون من تشكيل ثلاث لجنات عمل : لجنة وحدة الطلبة – العمال ، لجنة الحريات الديمقراطية ، و لجنة تطور الحركة ، الأمر الذي فاقم من حدة الأزمة ، خاصة في ظل عدم الإنصياغ لتوجيهات السلطات المركزية ، فتنظمت مصالح الأمن و تدخلت بجامعة حسناوة بتيزي وزو ، لتحث الطلبة إلى العودة إلى مقاعد المدرجات ، إلا أن الأمر تحول إلى مشاداة جديدة بين الطرفين ، إنتهت بإعتقلات جديدة لبعض الطلبة الجامعيين ، و كذا بعض العمال التابعين لمستشفى محمد نادير و مصنعي سونيلاك و سونيتاكس .

إن هذه العملية زادت الطين بلة ، لماذا ؟ لأنها ببساطة تعتبر خرقا للحرم الجامعي ، خاصة و قد تم استعمال أسلوب العنف من طرف قوات الأمن ، وضعية لم يرض بها الطلبة و لا الأساتذة ، دفعت بهم ، بمساندة من العمال السابقي الذكر ، إلى الدفاع الشرعي عن حرمهم الجامعي ، حيث لم يكن للسلطة أن تتخذ قرارا كهذا من شأنه أن يزيد من نار الفتنة ، بقدر ما كان من واجبها إتخاذ قرار يعمل على تهدئة الأوضاع بصفة عقلانية سلمية ، و ذلك تفاديا لتواصل الإشتباكات بين طرفي النزاع المتمثلين في ذوو النزعة البربرية من جهة ، و السلطة بأجهزتها الأمنية من جهة أخرى .

كما نرى أيضا أن تطور الأحداث بالمنطقة لتنفجر بهذا الشكل ، متخذة مسارا خطيرا لم يكن وليد الصدفة ، فكما يقال إن الضغط يولد الإنفجار ، ضف إليه ذاك الدور الفعال الذي لعبته الأيادي الخفية الخارجية المحركة للورقة البربرية في ظل مناخ داخلي ، اتسم بنقص الوعي القومي ، فإن لم ينجح الإستعمار الفرنسي خلال وجوده بالأراضي الجزائرية في سلخ الشعب الجزائري من شخصيته الوطنية ، فقد استطاع أن يطبع بعض العقول بطابعه ، لدرجة أنها تفكر اليوم كما كان يفكر هو بالأمس ، و هي تتحامل على اللغة العربية بنفس درجة تحامله عليها البارحة ، ساعية

في سبيل عرقلة سير عملية التعريب بكل ما تستطيع . (1)

ما يجب الإعتراف به كحقيقة هو نشوء مزايدات سياسية ، إستغلت غموض القوانين الدستورية المحددة لبعض عناصر الهوية الوطنية ، إرتكزت عليها كحجج أدت إلى حدوث إنزلاقات خطيرة ، نتائجها مست بمكوناتها الحضارية المتمثلة في البربرية إلى جانب الإسلام و العربية ، تلك العناصر التي نعتبرها كتلة واحدة متجانسة ، كلما إفتعلت مع بعضها البعض ، شكلت وحدة الشعب الجزائري بتكامله التاريخي و الثقافي ، إذا إختفى أحد المكونات ، زالت الوحدة و تشتت عناصر الأمة الجزائرية ، الأمر الذي يجعلنا نحكم عليها بالثوابت الرئيسية الراسخة للوحدة الوطنية .

إن توقف الإضرابات و الإحتجاجات بالشوارع لم يعن أبدا إقتناع عناصر الحركة البربرية بالخطاب السياسي للسلطة المركزية ، إذ أن تواصل نشاطها بعيدا عن هذه الأخيرة ظل قائما ، حيث إجتمع لأول مرة عدد هام من الباحثين في التاريخ و علم الإجتماع و اللسانيات و غيرهم من مناضلي الحركة الثقافية البربرية لمدة شهر كامل بمنطقة ياكوران بعزازقة ، تضمنت أشغاله نقاشا دار موضوعه حول وضعية الثقافة و الهوية الوطنية ، إنتهى بتحرير بيان يدعى بيان ياكوران ، يتعلق بمطالب الحركة الثقافية البربرية التي تمحورت حول ثلاث مطالب رئيسية : مشكل الهوية الثقافية للشعب الجزائري ، مشكل حريات التعبير الثقافية ، و مشكل الثقافة في السياسة التنموية .(2)

على هذه الوتيرة ، تواصلت إنشغالات محرضي النزعة البربرية ، بهذه المسألة " **علما أن النار التي خمدت في الظاهر كانت تسري تحت الرماد ... حيث قامت مجموعة من التروتسكيين ... مع مجموعة أخرى من أتباع حسين آيت أحمد (كان يشرف على قيادتها سعيد سعدي زعيم التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية الأن) ، قامت بالإستيلاء على مقر لجنة الحي الجامعي (التي كانت** =

1- محمد مصايف ، في الثورة و التعريب . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1973 ، ص 50 .

2- بن نعمان ، مرجع سابق . ص ص 232-237.

= **بأيدي جماعة مسجد بن عكنون) ، لكن المحاولة فشلت و قررت المجموعتان عقد جمعية عامة ، و أثناء قيام الطلبة بإلصاق الإعلان الذي يحدد تاريخ إنعقاد الجمعية ، حدث إشتباك عنيف ذهب ضحيته الطالب كمال أمزال يوم 02 نوفمبر 1982 ." (1)**

هذه الإشتباكات كانت تعبر لنا عن الصراع الذي كان قائما بين الكتلتين : الإسلاموية الناشئة و اللائيكية ، مسرحها الأساسي هو مدرجات الجامعة الجزائرية ، و فاعلوها الأساسيين هم الطلبة ، لتتدخل السلطة بأجهزتها كلما إشتدت حدة التوترات بينهما لتهدئة النفوس ، إلى حين تناول هذه الإيديولوجيات من طرف بعض الأحزاب السياسية المعتمدة رسميا بعد تعديلات دستور 1989 (كما سنرى لاحقا) .

في ظل إستمرار الوضع على ما كانت عليه من إضطرابات و سعيا في سبيل إستعادة السكينة ، واصلت أجهزة الأمن عملية الإعتقالات للعناصر المحرضة ، سيما تلك المنتمية إلى الحركة الثقافية البربرية ، في حين لجوئها أحيانا أخرى لتحويلها إلى مناصب عمل خارج منطقة القبائل ، هادفة من خلال ذلك إلى إبعادها عن مصدر الحركة بصفتها عناصر منشطة لها ، الأمر الذي جعل سكان هذه المنطقة يظهرون غضبهم على هذه السياسية ، سيما من خلال الأسلوب الذي إستقبلوا به السيد رئيس الجمهورية ، الشاذلي بن جديد إثر الزيارة الرسمية التي قادته إلى ولاية تيزي وزو ثلاث سنوات بعد أحداث الربيع البربري ، إلا أن الإعتقالات التي تضاعف حجمها من بعد ، بحجة المساس بأمن الدولة ، أدت إلى جلب إهتمام الرأي العام الدولي نحو المسألة ، خاصة مع تشكيل الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان على يد مجموعة من مناضلي حقوق الإنسان و مجموعة هامة من مناضلي الحركة الثقافية البربرية .

" تبعا للحملة التي قادتها الصحافة الدولية و منظمات رابطات حقوق الإنسان (أمنستي أنترناسيونال ، الرابطة التونسية لحقوق الإنسان ، جمعية المحامين العرب ، جمعية المحامين الأفارقة ...) لفائدة المعتقلين ، =

1- أبو جرة سلطاني ، جذور الصراع في الجزائر . ط 2 ، الجزائر : دار الأمة ، 1999 ، ص 95 .

= و داخل الوطن ، إضافة إلى المحامين الموكلين من طرف الفيديرالية الدولية لحقوق الإنسان التي إنضمت إليها الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان ، عـــمدت محكمة أمن الدولة إلى عدم الأخذ بعين الإعتبار الإتهامات الموجهة ضد هؤلاء المعتقلين ." (1)

تعزز موقف السلطة المركزية إثر هذه التطورات ، حيث ظهر ذلك من خلال تدخل السيد رئيس الجمهورية أمام المؤتمر الإستثنائي لحزب جبهة التحرير الوطني في شهر ديسمبر من سنة 1985 ، مؤكدا من خلاله على أنه لا مجال لطرح مشكل الهوية الوطنية و الأصول البربرية للجزائريين ، مذكرا من جديد أن الظاهرة هي من خلق إستعماري ، تهدف إلى تفتيت وحدة الشعب الجزائري التي تسعى الدولة بكافة أجهزتها في سبيل الحفاظ على ديمومتها .(2)

<u>**ثالثا** : النتائج المترتبة عن أحداث الربيع البربري</u>

من أهم النتائج التي ترتبت عن الإضطرابات الخاصة بالربيع البربري ، هي تلك التي تعلقت برئيس الجمهورية ، السيد الشاذلي بن جديد حيث أنه إبتداءا من شهر ماي من سنة 1980 تحصل هذا الأخير على كامل السلطات من طرف اللجنة المركزية ، تسمح له بإدراج أية تغييرات يراها ضرورية على رأس الدولة و الحزب ، فالمؤتمر الذي يلي اللجنة المركزية يؤكد على ضرورة تركيز السلطة .

إن ممارسة هذه الحقوق من طرف السيد رئيس الجمهورية ، ترتبت عنها نتيجة في بالغ من الأهمية ، ألا و هي تقلص عدد أعضاء المكتب السياسي من 17 عضو إلى 7 أعضاء ، هذا بالإضافة إلى نتيجة أخرى ، تمثلت في إلغاء وظيفة منسق الحزب التي كان يؤديها السيد محمد الصالح يحياوي.(3)

1- GUENOUN , <u>OP-CIT</u> , P 74.

2- IBID .

3- DERSA , <u>L'ALGERIE EN DEBAT : LUTTES ET DEVELOPPEMENT</u>. FRANCE : LIBRAIRIE FRANCOIS MASPERO , 1981 , P 257 .

إن كل الأحداث التي عرفتها سنوات الثمانينات ، أحاطت بها أوضاعا طغت عليها أزمة إقتصادية و سياسية مترجمتين على التوالي في كل من مشكل المديونية الخارجية من جهة و مشكل تنظيم العمل السياسي من جهة أخرى ، طبعا البلاد خلال هذه الفترة و أديا إلى تذمر و سخط المواطنين ، الذين طالبوا بإحداث تغييرات سياسية جذرية ، عبروا عنها سنة 1988 .

" الهيجان الجماهيري الواسع للشارع الجزائري في أكتوبر 1988 ، يعبر عن أزمة خطيرة ، بلغت أوجها من النضج حتى إنفجرت بذلك الشكل المدهش . إن هذا الإنفجار الشعبي العام قد سبقته إنفجارات شعبية محلية بتيزي وزو و بجاية في ربيع 1980 ، و في قسنطينة و سطيف بعد ستة أعوام ، و في وهران بالغرب الجزائري و في ورقلة بالجنوب ، و في برج بوعريريج و غيرها من المدن ، و قد رفعت جميعا شعارات إما الدعوة إلى الإهتمام بالأمازيغية كثقافة وطنية ، و إما التنديد بالمظالم الإجتماعية كالمحسوبية و اللا مساواة ، و إما التعبير عن التذمر من مشاكل التموين و البطالة ." (1)

اتخذت هذه الأزمة بدورها طابعا آخر ، حيث خرجت إلى شوارع العاصمة لتمتد بفائق من السرعة إلى العديد من ولايات الوطن ، لتحولها الجماهير الشعبية ، خاصة الشبانية منها إلى مظاهرات معبرة عن سخط المواطنين و غضبهم على سياسة الرئيس الشاذلي بن جديد ، هزة شعبية زعزعت الحركة السياسية الجزائرية ، بل نعتبرها دفعا قويا لتطور الحقل السياسي الوطني ، ترجمة صريحة للأطراف المتصارعة على السلطة ، جعلتها أسلوبا لتصفية حساباتها باسم الشعب ككل مرة ، و ذلك لتتخذ طابعا شعبيا .

" و أمام هذا الإنسداد ، كان بن جديد أحيانا يلجأ إلى سياسة شمشوم الجبار القائمة على مقالته الشهيرة : " علي و على أعدائي يا رب " ، و ذلك ما ترجمته أخر =

---

1 – محمد بلقاسم حسن بهلول ، الجزائر بين الأزمة الإقتصادية و الأزمة السياسية . الجزائر : مطبعة دحلب ، 1994/93 ، ص 14 .

= **فقرة من خطابه ليلة 20 سبتمبر 88 ... و كان مدركا تماما أنه إستنفذ جميع الوسائل و الطرق لترميم البناء المتصدع لكن عبثا كان يحاول ، فالبناء السياسي الذي أقامه كان بحاجة إلى هدم و إعادة بناء ، و كل الجزائريين أصبحوا يطالبون بالتغيير الجذري ... في بنية النظام برمته ، و بن جديد كان يدرك هذه الحقيقة ليس فقط من سنة 87 ، و لكن منذ سنواته الأولى التي تولى فيها إدارة مقاليد الحكم في الجزائر ." (1)**

نحن نعتبر أن الإنفجار الشعبي لـ 5 أكتوبر 1988 ، هو تعبير عن غضب الجماهير الشعبية ، سيما الشبانية منها على الأوضاع الإجتماعية السائدة غير العادية التي كانت وليدة الأزمة ، و التي كانت بدورها سببا في إختلال التوازن السياسي الذي إستغلته بعض الأطراف لتنمية و توظيف بعض الإختلافات الجهوية و العرقية ، إشعالا لنار الفتنة ، محاولة هادفة إلى إعادة تشكيل المعادلة السياسية في البلاد .

إن هذه المشاكل قد أحست بها شريحة الشباب أكثر من غيرها و عبرت عنها بعنف قوي ، حيث قامت بتخريب كل الممتلكات التابعة لمختلف هيئات الدولة ، بل و البعض من ممتلكات الخاصة ، تلك التي أنقذت بفضل تدخل عناصر الجيش الوطني الشعبي تحت حالة الحصار التي أقرها السيد رئيس الجمهورية طبقا للمادة 86 من الدستور ، حيث تمكنت من إرجاع السكينة و الهدوء إلى شوارع المدن المختلفة .

" لا شك أن أحداث أكتوبر 1988 ... إنفجار شعبي رفع صوته في الشوارع بشعارات ضد النظام و الممارسات البيروقراطية للإدارة و السلوكات الطائشة للمقربين من بعض رجال النفوذ ... و هي مظاهر إجتماعية سلبية غذتها مشاكل ندرة التموين في السوق ، و مشاكل تفشي البطالة وسط الشباب =

1- سلطاني ، مرجع سابق ، ص 71.

= **و العجز المتفاقم في السكن الإجتماعي بالمدن ، أضف إلـى ذلـك أيـضا تـدهـور حـالـة الأمـن على الأملاك و الأشخاص ."** (1)

وضعية هي لأزمة شعبية زادت من الطين بلة ، و كـأن هـذه الأخيرة إستمدت قوتها من سابقتها ، تلك الخاصة بمظاهرات الربيع البربري ، التي شهدتها شوارع المدن لأول مرة .

أما عن مشاركة منطقة القبائل في هذه المظاهرات فقد شارك فيها سكان و شباب ولاية بجاية دون أن ينضم إليهم شباب ولايـة تيزي وزو ، الذين تحلوا بالسكينة و الهدوء دون غيرهم من الشـباب الجزائـري ، أمـر جلـب الإنتباه و طرح تساؤلات حول سبب هذا الهدوء الـذي خـص ولايـة تـيزي وزو دون غيرها من ولايات الوطن .

وجدنـا تفسيرا لهـذه التسـاؤلات عنـد البعـض مـن متتبعـي المشوار السياسي للبـلاد ، حيث أدلـى لنـا السـيد بوعيش يخلـف بشـهادته فيمـا يخص هذه النقطة بالذات ، مرجعا سبب عدم مشاركة سكان ولايـة تـيزي وزو في مظاهرات 5 أكتوبر 1988 ، إلى تلك الأوامر و التوجيهات التي تلقاها السيد سعيد سعدي و أتباعـه مـن طـرف بعـض رجـال السلطة أمثـال السـيد قـاصدي مربـاح ، القاضيـة بضـرورة تحسـيس شـباب هـذه المنطقـة حتـى لا يتظـاهروا بالشوارع على غرار شباب الوطن ، مقابل أن يتم تشكيل حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية مباشرة بعد ذلك ، أي أن فكرة تأسيس هـذا الحـزب كـانت موجودة قبل حتى أي يتم إقرار نظام التعددية الحزبية بضعة أشهر من بعد .(2)

1- بهلول ، مرجع سابق ، ص 23.
2- مقابلة مع السيد بوعيش يخلف ، أمين وطني لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، الثلاثـاء 18 سبتمبر 2001 ، الجزائر .

الفصل الرابع : ظاهرة النزعة البربرية في ظل نظام التعددية الحزبية .

سنتعرف في هذا الفصل الرابع و الأخير من بحثنا ، على التحولات الجديدة التي طرأت على القضية البربرية و التي كانت بدايتها هي بداية عهد جديد لنظام سياسي جديد ، معالمه إختلفت عن سابقيه ، نحاول من خلاله إستدراج الأحداث المتعلقة بهذا الموضوع ، و ذلك حتى نتمكن من إلتماس المنعرجات المتبناة من طرف عناصر الحركة البربرية ، هؤلاء الذين يستغلون كل المستجدات السياسية للأوضاع الوطنية ، بغية توظيفها وفقا لما يخدم قضيتهم ، جاهدين في سبيل إعادة طرح مسألة الهوية الجزائرية في إطار الإعتراف الرسمي بالبربرية كلغة وطنية و رسمية إلى جانب اللغة العربية ، و ذلك بغية إدراجها رسميا كأساس لا يمكن التخلي عنه في عملية تحديد معالم الهوية الوطنية .

من خلال تناولنا لهذا الفصل أيضا ، سوف نرى كيف تطورت الأوضاع لتصبح أحداثا ذات وزن هام في التاريخ السياسي الجزائري لا يمكن أبدا للباحث أن يتجاهلها ، فقد تحول مسار المسألة من سري إلى علني شرعي .

المبحث الأول : إنقضاء عهد النضال السري للحركة البربرية .

بعد التعديلات التي مست دستور 1989 ، دخلت البلاد في نظام سياسي تعددي لأول مرة في التاريخ ، مما سمح بتشكيل أحزاب سياسية بصفة شرعية ، جعلت البعض منها المطالب البربرية لب محورها ، لتكتسب بذلك النزعة البربرية طابعا شرعيا يجعلها تخوض مسارا من نوع جديد .

أولا : التوظيف السياسوي للمطالب البربرية.

لن نوجه تحليلنا للبحث في موضوع التنديد الشعبي بالنظام في أحداث أكتوبر 1988 في ما إذا تعلقت بالجانب السياسي التنظيمي له ، أم سوء التسيير و الممارسات المنحرفة لممثليه ، بقدر ما تهمنا نتائجه المتمثلة في التحولات الجوهرية التي عرفها دستور 23 فبراير 1989 ، سيما في مادتيه 39 - 40 ، المتعلقتين بحرية التعبير أو الرأي و حق التعددية الحزبية .(1)

إن الوضعية الخطيرة التي آلت إليها البلاد بعد أحداث أكتوبر 1988 ، عكست لنا مآل الساحة السياسية الجزائرية التي إتسع هامشها لتسمح لشعبها بالتحرك السياسي ، ذاك الذي كشف بدوره الغطاء عن خفايا الساحة الإيديولوجية ، سواء تعلق الأمر بالإسلاميين أو الديمقراطيين أو اليساريين ، أو حتى الإنتهازيين ، أنجب من خلالها دستور فيفري 1989 حوالي 63 حزب سياسي و عددا لا يستهان به من الصحف اليومية و الأسبوعية ، فخرجت بذلك المعارضة السياسية إلى الشارع ليرفع عنها طابع السرية الذي كان يلازمها في الأمس القريب .

" فالحل السياسي الذي إرتضته الدولة إذن لحل الأزمة هو تغيير النظام السياسي من نظام الحزب الواحد إلى نظام التعدد الحزبي لأنها تعتقد بأن هذا الأخير سوف ينشر الشفافية في تسيير أمور المجتمع ، و يسمح للحريات الفردية و الجماعية أن تراقب و تكشف =

1- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، دستور 1989 . المادتين 39-40 .

= العيوب و الأخطاء و تفضح الإنحرافات في ممارسة السلطة ، و تمكن الجميع هكذا في المشاركة في التسيير و تتجند الطاقات في البناء و التشييد ." (1)

ما يمكن ملاحظته مباشرة بعد ذلك هو نشوء تيارات حزبية مختلفة أبرزها ثلاث تيارات ، إستعملت جوانب حساسة لهوية الشعب الجزائري ، و ذلك وفقا لمدى تأثير كل جانب على مواطني منطقة معينة من القطر الجزائري يمكننا تلخيصها في كل من : التيار السياسي الإسلامي ، التيار السياسي العروبي ، و التيار السياسي البربري .

السؤال الذي يطرح نفسه الأن يدور حول سبب استعمال هذه التيارات لعناصر العروبة ، الإسلام ، البربرية .

طبعا إن الهدف من ذلك بالغ الأهمية ، إذ أن هذه العناصر هي السبيل الأمثل للتأثير في عواطف المواطنين ، خاصة عند فئة الشباب التي تعتبر فئة هشة جدا ، و ذلك بالنظر إلى الأوضاع و المشاكل التي تعاني منها ، تلك التي بفضلها أصبحت هذه التيارات السياسية تهدد وحدة و إستقرار المجتمع الجزائري .

ففي ظل نظام التعددية الحزبية ، حدث أن مختلف التشكيلات الحزبية السياسية المعتمدة ، قد طرحت حلولا للأزمة التي تعيشها البلاد ، رمزت إليها في شكل برنامج يميزها ، حيث تركز طابع كل واحدة منها على المواطن الحساسة في المجتمع الجزائري ، عملية استهدفت من خلالها جلب أكبر عدد ممكن من الأنصار ، لجأت في أغلب الأحيان إلى استعمال أسلوب المزايدات السياسية في خطاباتها الرسمية المكثفة في هذه الفترة ، مما أدى إلى إنحراف هذه الأحزاب عن المهمة التي نشأت من أجلها ، شرط إعتمادها الرسمي الذي نص عليه قانون الجمعيات ذات الطابع السياسي الصادر سنة 1989 .

1- محمد بلقاسم حسن بهلول ، الجزائر بين الأزمة الإقتصادية و الأزمة السياسية . الجزائر : مطبعة دحلب ، 94/93 ، ص 71.

" ... معظم التشكيلات السياسية المنبثقة عن نظام التعددية الحزبية منذ 1989 إستغلت هذه الحقيقة و إنقادت عن قصد وراء الإهتمام بهذه العناصر حتى وصف فريق بالأحزاب الأمازيغية ، و فريق ثان بالأحزاب الإسلامية و فريق ثالث بالأحزاب العربية أو الإسلامية العربية ." (1)

على هذا المنوال نشأت جمعيات سياسية ذات طابع جهوي حيث تمت عملية الإعتماد الرسمي لحزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية (RCD) ، في 12 سبتمبر 1989 ، ضم أغلبية مناضلي الحركة الثقافية البربرية لتصبح مطالبهم شرعية ، بإمكانهم التعبير عنها بل وصياغتها في إطار برنامج سياسي لمشروع مجتمع ، يرونه صالحا للتبيق إذا ما وصلوا إلى هرم السلطة عن طريق الإنتخابات الشرعية ، حقوق نفسها كتلك المخولة دستوريا لنظيره حزب جبهة القوى الإشتراكية المعتمد رسميا في 20 نوفمبر 1989 ، و ذلك على غرار الحقوق الدستورية للأحزاب الأخرى .

تمثلت الحركة البربرية بعد إقرار نظام التعددية الحزبية في واجهتين رئيسيتين : الأولى ثقافية رايتها الحركة الثقافية البربرية ، و الثانية سياسية تتشكل من الأحزاب السياسية ، أمر يعبر لنا صراحة عن وجود حيوية ميدانية للحركة البربرية في ظل النظام الجديد .

أما عن الأحزاب السياسية الممثلة للحركة البربرية ، فهي تتمركز بدورها في حزبين رئيسيين ، الحزب الأول الذي أثبت ثقله بمنطقة القبائل إثر الإنتخابات التشريعية لـ 26 ديسمبر 1991 ، و هو حزب جبهة القوى الإشتراكية (FFS) ، يتزعمه السيد حسين أيت أحمد ، أحد الوطنيين الممثلين للثورة التحريرية ، نزعته بربرية جهوية ميزته منذ زمن ، خاصة و أنه قد حاول توحيد القبائل الصغرى و الكبرى في ولاية واحدة من ولايات حزب الشعب الجزائري ، كما يمثل أيضا عنصر من العناصر الفعالة للأزمة البربرية لسنة 1949 .

ما يميز توجهات هذا الحزب السياسي هو أنه يحاول دوما الإكتفاء بالجزء في حالة تعذره الإستيلاء على الكل ، إذ أن مطالبه تعلقت منذ

1- بهلول ، مرجع سابق ، ص 18.

نشأته الأولى بتحقيق الديمقراطية ، التي يراها في نظره الأسلوب السياسي الوحيد الذي سيسمح بالإعتراف باللغة البربرية كلغة وطنية و رسمية رسمية للبلاد ، و مطلب يأتي في مرتبة ثانية .

الحزب البربري الثاني من حيث الأهمية ، و ذلك إستنادا إلى النتائج التي حققها في الإنتخابات التشريعية السابقة الذكر ، يتمثل في حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية (RCD) ، و ممثلها هو الدكتور سعيد سعدي و هو مناضل في سبيل تحقيق المطلب البربري ، متبنيا البربرية بمفهومها الواسع بلغة جد متحمسة ، مناديا بالبعد البربري للبلاد .

إختلف الحزبان في نظرتهما للحلول المقترحة للأزمة التي طبعت البلاد منذ بداية التسعينات ، إذ أظهر الدكتور سعيد سعدي معارضته لكل مصالحة مع الإسلاميين ، حيث ذهب إلى وصف الدولة بحاضنة التيار الأصولي ، داعيا إلى ضرورة إسقاطها ، سيما بعد أن أقال رئيس الجمهورية أنذاك السيد ليامين زروال ، رئيس الحكومة رضا مالك و وزير الداخلية سليم سعدي (*) ، في حين يدعو زعيم جبهة القوى الإشتراكية إلى عدم إلغاء نتائج الإنتخابات التشريعية ، معارضا كل الحلول الأمنية للأزمة ، رافعا شعار المصالحة الوطنية (1) ، مواقف تظهر لنا جوهر الإختلاف في الأفكار بين زعيمي الحزبين الرئيسيين الممثلين للحركة البربرية في طابعها السياسي ، تلك التي تمثلها أيضا ، و لو بصورة أضعف ، مجموعة أخرى من الأحزاب ، كحزب حركة مجد التي كان يتزعمها رئيس الوزراء الراحل قاصدي مرباح ، حزب الحركة الديمقراطية للتجديد الجزائري و التي أسسها المرحوم سليمان عميرات ، حزب حركة التحدي التي تزعمها السيد الهاشمي شريف ، و هي إمتداد للحزب الشيوعي الجزائري ، هذا إضافة إلى بعض الأحزاب الأخرى التي تجمع على الإعتراف بالبعد البربري لكن بدرجات حماس متباينة .

بهذا الشكل تكون الممارسة الديمقراطية لهذه الأحزاب قد تحققت ، و إنقضى عهد السرية الذي إتسمت به نشاطات عناصر الحركة

---

*- و هما من التيار الداعي لسحق الإسلامويين .

1- فيصل جلول ، " ضغوط لجرهم إلى المواجهة ، هل يمارس البربر رقصة الحرب أم رقصة السلام ؟ " . مجلة الوسط . العدد 120 ، 16 ماي 1994 ، ص ص 10-13.

البربرية التي تنظمت إما في إطار جمعيات أو في إطار أحزاب ، عمدت إلى إنشاء صحف و جرائد خاصة بها ، مصطبغة بأفكارها و إيديولوجياتها ، بل و لتعبر عنها مباشرة على أجهزة الإعلام السمعية البصرية ، مبدية من خلالها أراءها ، مقترحة حلولا أحيانا ، و مكتفية بإنتقاد سياسة الدولة أحيانا أخرى ، مستعملة في تدخلاتها المختلفة اللغة التي تريدها ، سواء كانت العربية أو غيرها ، لتكون في أغلب الأحيان تدخلات ممثلو الأحزاب البربرية بالعربية و الفرنسية و البربرية في وقت واحد .

في هذا المضمون ، لن نغفل أن نذكر بجديد المؤسسة الوطنية للتلفزيون التي باتت تبث موجزا إخباريا يوميا بالبربرية ، مستعملة في كل مرة لهجة من اللهجات الوطنية القومية ، كالمزابية ، أو لهجة منطقة القبائل الكبرى أو الصغرى ، أسلوبا ميدانيا نراه لممارسة ديمقراطية لغوية ، فيما يراه ذوو النزعة البربرية عملا ناقصا غير كاف ، يستدعي الإستمرار في النضال .

<u>ثانيا</u> : <u>تطورات الحركة الثقافية البربرية بين التلاحم و الإنشقاق</u> .

في خضم هذا الجو السياسي الجديد ، الأول من نوعه في تاريخ الجزائر المستقلة ، عقدت الحركة الثقافية البربرية الملتقى الثاني لها في مناخ ديمقراطي واضح إحتضنته منطقة تيزي وزو ، ذاك الذي إختلف شكلا و مضمونا عن سابقه ، الملتقى الأول المنعقد بمنطقة ياكوران ، تسعة سنوات من قبل ، حيث هدفت أشغال هذا الملتقى إلى الخروج بتقييم نوعي عام لمسار هذه الحركة الثقافية السلمية غير السياسية ، مع ضبط توجهاتها التكتيكية و الإستراتيجية المتعلقة بالبرنامج الذي سوف تعتمد عليه في ظل التحولات السياسية الجديدة لتحقيق أهدافها المسطرة التي لايمكنها أن تخرج عن إطار هذه الحركة ، و التي تدور أساسا حول موضوع الهوية الوطنية و كذا القضية الثقافية و اللغوية .

" إن الحركة الثقافية الأمازيغية ، هي حركة إحتجاجية تجمع و توحد حول مسألة الهوية ، المسألة الثقافية و المسألة اللغوية ، إنها

حركة ذات طابع سلمي ، أي أنها تبتعد أساسا عن العنف " (1)

في هذا المضمون ، نلفت إنتباه القارئ إلى أن الحركة الثقافية البربرية تضم مجموعة من المناضلين المهتمين بالقضية الثقافية البربرية ملامحها الأولى تشكلت بداية الثمانينات ، وقت بدأ يتجمع هؤلاء العناصر للبحث في مستقبل قضيتهم .

أما فيما يخص التسمية التي اتسم بها هذا التجمع ، أي الحركة الثقافية البربرية ، (MCB) ، فقد أعطيت له من طرف وسائل الإعلام المختلفة ، و تم الإبقاء عليها فيما بعد ، حيث قرر أعضاء هذه الحركة تشكيل حزب سياسي في التاسع فيفري من سنة 1989 ، ليكتسب نضالهم الطابع السياسي الوطني ، فكرة قوبلت بالرفض من طرف البعض من عناصر هذه الحركة لتظهر على إثر ذلك البوادر الأولى لإنشقاقها .

تشكل بذلك حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية (RCD) ، و أبقى المعارضون لهذه الفكرة على اسم (MCB) لكن لجان وطنية واصلوا من خلاله نضالهم الثقافي غير السياسي ، حيث نظموا في 25 جانفي من سنة 1990 مسيرة وطنية حققت نجاحا ملحوظا في ذلك الوقت ، إذ ضمت حوالي 500 ألف شخص ، رفضت جماعة حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية مساندتها ، حيث رأوا وراء هذه المسيرة غموضا يستدعي التحلي بالفطنة و الحذر . (2)

ما يمكن ملاحظته من خلال هذا الحدث الهام هو أن الحركة الثقافية البربرية قد عرفت شقاقا بين عناصرها فور دخول البلاد المسار الديمقراطي ، و ذلك على الرغم من أن الشقين يناضلان من أجل تحقيق أهداف مشتركة أمر يدل على وجود محركين أساسيين مختلفين للعناصر البربرية ، أولاهما قد يكون نابعا من الذات و ثانيهما قد يكون متصلا بأيادي غريبة عن الوطن لتكون أهدافه الإستراتيجية بعيدة عن الوطنية .

1- ALI GUENOUN , <u>CHRONOLOGIE DU MOUVEMENT BERBERE</u> . ALGERIE : CASBAH EDITIONS , P 197 .

2- مقابلة مع السيد أوشلوش جعفر ، مدير فرعي مكلف بالإعلام بالمحافظة السامية للأمازيغية يوم 08-09-2001 ، بالجزائر العاصمة .

تحول المسار السياسي للبلاد سنة 1991 ، إثر توقف الإنتخابات التشريعية لـ 26 ديسمبر 1991 ، التي أسفر دورها الأول على نجاح حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ (FIS) ، و التي قرر من بعدها السيد رئيس الجمهورية إلغاء الدور الثاني لهذه الإنتخابات مع الإعلان عن حالة الحصار ، حيث تحول على إثر ذلك حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ إلى حركة مسلحة ، تلك التي لقيت مساندة من طرف (MCB) لجان وطنية تحت إشراف جمال زناتي ، و التي لم تكن بدورها سوى اللسان المعبر و العنصر الميداني لحزب جبهة القوى الإشتراكية (FFS) ، الذي إضمحلت نشاطاته في هذه الفترة بالذات ، إذ تمت هذه المساندة بعد لجوء الحركة المسلحة لجبهة الإنقاذ إلى طلب يد المساعدة ببلاد القبائل .(1)

هذه التحركات السياسية تبين لنا فعلا إختلاف الإتجاهات بين طرفي (MCB) ، خاصة و أن الطرف الثاني له قد تنظم من جديد ليشكل بالموازاة الحركة الثقافية البربرية الرابطة الوطنية ، برئاسة فرحات مهني الذي إستقال من حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية ، بطلب من الجمعيات الثقافية البربرية لمنطقة الوسط و منطقة القبائل (*) ، و الذي كان يشغل عشيتها منصب الأمين الوطني للثقافة بالحزب المذكور أعلاه .

في هذا الموضوع يفيدنا الأمين الوطني لحزب جبهة القوى الإشتراكية أن الحركة الثقافية البربرية - الرابطة الوطنية لا تضم سوى مناضلين من حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية ، لتكون بذلك هذه الحركة حركة أحادية ، مضيفا أن تأسيسها لم يتم سوى بغرض الوقوف ندا للحركة الثقافية البربرية - اللجان الوطنية ، متهما إياها بالسعي في سبيل خلط الأوراق أمام الرأي العام المحلي المتكون أساسا من الفئات الشعبية غير الواعية و ذلك حتى لا تتمكن هذه الأخيرة من تحديد الفرق بين الإثنين ، و منه تتضح خطة السلطة في خلق الوجه الثاني للحركة الثقافية البربرية (الرابطة الوطنية) كوسيلة تعتمد عليها لكسر كامل الحركة .(2)

1- المرجع السابق الذكر .

*- و هي تقدر بحوالي 100 جمعية .

2- INTERVIEW AVEC MONSIEUR BOUAICHE YEKHLEF , SECRETAIRE NATIONAL DU PARTI FRONT DES FORCES SOCIALISTES , LE MARDI 18 /09/2001 , ALGER .

بهذا الشكل تتضح لنا هيكلة طرفي (MCB) بشقين :
أولهما خاضع لتيار سياسي يمثله (FFS) ، و ثانيهما خاضع لتيار سياسي مقابل يمثله (RCD) ، واصل كليهما النضال من أجل المسألة البربرية ، حيث نظم (MCB) الرابطة الوطنية مسيرة بولاية تيزي وزو في 17 جانفي 1994 ، ضمت حوالي مليون شخص ، إتخذت شعارات متعلقة بالإعتراف باللغة البربرية في إطار إحترام مبادئ حقوق الإنسان مع المناداة بضرورة مواجهة الحركة المسلحة التابعة لحزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، معبرة عنها بـ : " الأمازيغية لغة وطنية رسمية ، النضال ضد التطرف الإسلاموي " (1)

تتواصل المسيرة النضالية لهذه العناصر ، لتتخذ هذه المرة طابعا يخرج عن المألوف ، ذاك الذي تمثل في إضراب المحفظة لمدة سبعة أيام في أفريل من سنة 1994 ، أسلوب تهديد و ضغط ، إستعملته (MCB) الرابطة الوطنية ، و ذلك بغية دفع السلطة إلى الإعتراف بالبربرية كلغة وطنية و رسمية للبلاد ، إلا أن النظام السياسي ، و على غرار أغلب عاداته ، واجه الموقف بالصمت كوسيلة للتأمل في الأمر ، أو نظرا لعجزه لإتخاذ قرارات في الموضوع ، أو ربما لأن الأمر لم يكن من الأولويات بالنظر إلى الوضعية التي كانت تعيشها البلاد ، تلك التي اتسمت بالقلق و التوتر في ظل مواجهة أجهزة الأمن المختلفة للأحداث الدامية العنيفة المرتكبة من طرف المجموعات الإرهابية الإسلاموية .

رد فعل السلطات المركزية للبلاد لتهديدات الحركة الثقافية البربرية – الرابطة الوطنية – ، دفع بهذه الأخيرة إلى التطبيق الفعلي ، حيث قررت في شهر أوت من نفس السنة مقاطعة الدخول المدرسي و الجامعي إلى غاية تدريس اللغة البربرية ، حيث تمثل مطلبها الوحيد في شعار (تمازيغت دي لاكول) ، مقاطعة شملت كل مناطق بلاد القبائل ، بل و قد لقيت مساندة حتى من طرف مجموعة (MCB) اللجان الوطنية ، مطلب و أسلوب إتفق عليه طرفي الحركة الثقافية البربرية لأول مرة بعد إنقسامهما ، أمر نرجعه للنجاح الذي عرفته هذه المقاطعة ، إذ لم يكن على (MCB) اللجان الوطنية إلا المساندة ، بلغة أخرى لم يكن لها بديل أخر .

1- INTERVIEW AVEC MONSIEUR OUCHELLOUCHE DJAFFAR , SOUS DIRECTEUR DE L'INFORMATION DU HAUT COMMITE DE L'AMAZIGHITE , SAMEDI 08 SEPTEMBRE 2001 , ALGER .

في ظل الظروف الخطيرة التي كانت تعيشها البلاد من جهة ، و تزامنها مع أحداث منطقة القبائل من جهة ثانية ، إضطرت السلطات المركزية و على رأسها رئيس الحكومة في ذلك الوقت ، السيد مقداد سيفي ، إلى إنشاء لجنة لدراسة هذه القضية ، محاولة جديدة يقوم بها النظام السياسي لإحتواء المسألة التي تعود لتظهر في كل مرة يعتقد فيها أنها زالت و إندثرت ، متجاهلا ضرورة تسويتها بصفة نهائية .

هذه اللجنة المسماة بلجنة سيفي ، تشكلت في 2 أكتوبر 1994 و لكنها لم تحقق نجاحا في الموضوع نظرا لرفضها من طرف (MCB) الرابطة الوطنية ، و ذلك بسبب تشكيلتها غير التمثيلية – حسبهم – ، في الوقت الذي كانت فيه مجموعة (MCB) اللجان الوطنية تطالب فيه بعودة البلاد للمسار الديمقراطي ، أي العودة للإنتخابات التشريعية الملغاة في دورها الثاني ، و من بعدها يتم – حسبها – حل مشكل البربرية اللغوي ، بمعنى أخر المطلب اللغوي البربري لم يكن محورا أوليا لدى هذه الفئة الممثلة ، ليظهر من جديد الإنشقاق بين طرفي الحركة الثقافية البربرية .(*)

> **" في 02 أكتوبر من سنة 1994 ، تم تأسيس لجنة وطنية تدعى لجنة سيفي ، من طرف رئيس الحكومة شخصيا ، و ذلك بهدف النظر في المطالب . في 31 ديسمبر من نفس السنة ، عرفت هذه اللجنة فشلها ، و ذلك على إثر رفض الحركة الثقافية البربرية للنتائج التي قدمها ممثلوا الولايات 48 للوطن الحاضرون ." (1)**

تواصلت عملية مقاطعة الطلبة و التلاميذ للدراسة إلى غاية 29 أفريل من سنة 1995 ، و ذلك على الرغم من إنفصال فرحات مهني عن (MCB) الرابطة الوطنية بعد أن حاول أن ينفرد بالحركة متوجها نحو التفاوض الفردي مع السلطات المركزية ، مطالبا بتوقيف الحركة الإحتجاجية و العودة

*- هذا الأمر يعود بنا إلى ماضي الحركة البربرية ، إذ أن حزب جبهة القوى الإشتراكية حين تشكيله في 1963 ، لم يكن يطالب لا بالثقافة و لا باللغة الأمازيغية .

1- DJAFFAR OUCHELLOUCHE , « LE HAUT COMMISSARIAT DE L'AMAZIGHITE »: TIMMUZGHA , N°1 , FEVRIER 1999 , P 17.

إلى مقاعد الدراسة ، الأمر الذي قوبل بالرفض من طرف باقي عناصر الحركة الثقافية البربرية سواء هؤلاء المنتمين للرابطة الوطنية أو للجان الوطنية ، الذين قرروا بدورهم الإستمرار في حركتهم الإحتجاجية المعبر عنها عن طريق مقاطعة الدراسة .

ما نلاحظه من خلال هذا الحدث الهام بدوره ، هو حدوث إنشقاق جديد ، نعتبره تعبيرا صريحا على أن المصالح الفردية تبقى تسمو فوق كل إعتبار ، ربما لأن الإيمان بالمسألة ضعيفا لدى البعض ، أو ربما لأنه قد حان الوقت لإعادة تحديد الأدوار من طرف المسيرين الرئيسيين غير الظاهرين ، هذا إن لم يجتمع التفسيران معا .

يعود فريقي الحركة الثقافية البربرية ليتفقا من جديد ، لكن هذه المرة بإجتماعهما مع كل من : الحركة الثقافية للأوراس ، حركة الميزاب ، حركة الهقار بتمنراست ، مختلف النقابات المساندة للحركة الإحتجاجية و فيدرالية جمعيات أولياء التلاميذ للمناطق المعنية بالحركة الإحتجاجية (ولاية تيزي وزو ، ولاية بجاية و ولاية بومرداس) حيث خرجوا من هذا الإجتماع بأرضية أو لائحة تتضمن مطالبهم ، قدمت إلى مصالح رئاسة الجمهورية التي طالبت بعقد لقاء تحاوري في 9 أفريل من سنة 1995 ، لتفشل المفاوضات في أول الأمر و يعاد عقدها في 19 من نفس الشهر ، و التي أسفرت في 22 أفريل من نفس السنة على تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية (HCA) ، ليتقرر تدريس اللغة البربرية بـ 16 ولاية من الوطن في سبتمبر 1995 .(1)

في هذا المضمون ، و إستنادا إلى تدخلات السيد الأمين الوطني لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، التي تنص صراحة على أن الحركة الثقافية البربرية – اللجان الوطنية تفطنت للمفاوضات السرية التي تكون قد جمعت بين الحركة الثقافية البربرية – الرابطة الوطنية و السلطة المركزية ، و ذلك في الفترة الممتدة من 9 إلى 22 أفريل 1995 ، الأمر الذي يفسر لنا

1- INTERVEW AVEC MONSIEUR OUCHELLOUCHE , OP-CIT .

الموقف المضاد للحركة الثقافية البربرية – اللجان الوطنية لنتائج لقاء 22 أفريل 1995 ، المتمثلة في قرار تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية ، تلك التي تعبر عنها عناصرها بالضربة العالية للأمازيغية . (1)

على هذا الأساس ، ظلت عناصر الحركة الثقافية البربرية – اللجان الوطنية معادية ، غير معترفة بالمحافظة السامية للأمازيغية ، متهمين ممثلوها بالعناصر التابعة للسلطة ، التي عمدت إلى خلق هذه الهيئة الرسمية كوسيلة للقضاء على المسألة البربرية مثلها مثل حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية ، و مثل الحركة الثقافية البربرية – الرابطة الوطنية ، حيث تستند هذه العناصر في موقفها هذا إلى إمتناع الدولة عن تحديد هيكل خاص باللغة البربرية كلغة وطنية ، في الوقت نفسه الذي يوضح فيه أصحاب الرأي المعاكس أن الحركة الثقافية البربرية لم تتحصل على أية مساعدة من طرف السلطات المركزية للدولة ، و ذلك على الرغم من أنها تتكون من مجموعة من الجمعيات ، التي لها الحق قانونيا في الحصول على مساعدات مالية حكومية ، الأمر الذي جعل هذه الحركة تعتمد على العطاءات الخيرية و المساعدات التطوعية . (2)

<u>**المبحث الثاني** : توجهات جديدة في مسار الحركة البربرية : أبعاد و أفاق مستقبلية .</u>

تبعا للتطورات التي عرفتها الحركة الثقافية البربرية ، و على الرغم من الإنشقاقات التي تعرضت لها ، إلا أنها توصلت في النهاية إلى تحقيق نتيجة ملموسة تجسدت في المحافظة السامية للأمازيغية ، لم تكتف بها نظرا لإعتبارات معينة ، أمر دفع بها للخروج بمطالبها إلى الساحة الدولية .

1- مقابلة مع السيد بوعيش يخلف ، أمين وطني لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، الثلاثاء 18 سبتمبر 2001 ، الجزائر العاصمة .

2- المقابلة الثانية مع السيد جعفر أوشلوش ، مدير فرعي مكلف بالإعلام بالمحافظة السامية للأمازيغية ، الثلاثاء 18 سبتمبر 2001 ، الجزائر العاصمة .

أولا : تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية .

تأسست المحافظة السامية للأمازيغية على إثر المفاوضات السابقة الذكر بين حكومة السيد مقداد سيفي و أعضاء الحركة البربرية المتفقين – كما سبق و أن بيناه من قبل – ، و ذلك كأسلوب إعتمدته السلطات المركزية للبلاد لرد الإعتبار و ترقية البربرية بأبعادها التاريخية الثقافية و الحضارية ، حيث تم ذلك بواسطة المرسوم الرئاسي رقم 95/147 المؤرخ في 27 ماي 1995 ، الذي أقر إنشاء هيكل رسمي ، سمي بالمحافظة العليا للأمازيغية (HCA) الملحقة برئاسة الجمهورية .

" إن تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية يعكس رغبة الدولة في إعادة الإعتبار و ترقية هذا الشعاع (COMPOSANTE) الخاص بالهوية الوطنية ، و ذلك عن طريق تجنيد الوسائل المادية و البشرية و التنظيمية اللازمة لتحقيق هذا الهدف ." (1)

يتضح لنا من خلال ذلك تغيير نوعية الخطاب السياسي إتجاه هذه المسألة ، سواء كان ذلك من ناحية الشكل أو المضمون ، ليتم إحتواءها من طرف النظام ، إلا أن هذه المرة ، كان الإحتواء متميزا ، جديدا من نوعه ، إذ قدم تسهيلات لم تكن معهودة من قبل ، فريدة في تاريخ النظام السياسي الجزائري ، أسلوب إتسم بالموضوعية و الليونة ، مسفرا على نتيجة ملموسة تمثلت في إنشاء هيئة سامية تابعة مباشرة لأعلى هيئة في الدولة (رئاسة الجمهورية) ، و هي تخضع لسلطة السيد رئيس الجمهورية مباشرة (2) ، الأمر الذي من شأنه أن يضمن لهذه الهيئة الرسمية أن تكون بعيدة كل البعد عن كل التناقضات السياسية التي يمكنها أن تحول دون أدائها الحسن للوظائف المخولة لها قانونا ، تلك المتمثلة أساسا في رد الإعتبار للبربرية و ترقيتها

1- COMMUNIQUE DE LA PRESIDENCE DE L'ETAT , IN : TAMMUZGHA , OP-CIT , P13 .

2- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، المرسوم الرئاسي رقم 95/147 المؤرخ في 27 ماي 1995 . المادة 8 .

بكونها أحد أسس الهوية الوطنية ، مع إدخال اللغة البربرية في منظومتي التعليم و الإتصال . (1)

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه الأن ، يتمثل في هل أن إنشاء هذه الهيئة الرسمية سيكون بمثابة الإعلان عن نهاية المسار النضالي للحركة البربرية ، و إنقضاء عهد النزعة البربرية ؟

إن الإجابة على هذا السؤال واضحة ، تقدمها لنا الأحداث التي طبعت الحركة بعد تاريخ تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية ، إذ أن الأمر إختلف تماما عن هذا الطرح ، سيما و أن المسألة ألت لتتحول إلى مسألة دولية عالمية .

سمحت المحافظة السامية للأمازيغية للحركة البربرية أن تكون لها ركيزة ، تمكنها من بناء قوامها الذي تصبو إلى تحقيقه منذ زمن طويل ، قرار كان من المفروض أن يحدث من قبل لو أن الظروف السياسية للبلاد قد سمحت ، إذ أننا نرى أن تأطير المسألة بهذا الشكل يعطيها طابعا عقلانيا و رسميا يسمح بتطور الأوضاع بصورة سليمة ، و ذلك من خلال المناقشة العملية القانونية للمسائل المختلفة التي تسمح بدورها بتقديم الحلول المناسبة وفقا لما تحدده المعطيات من جهة ، و وفقا لما يخدم مصلحة الشعب من جهة أخرى بل إنه لقرار من شأنه أن يسلط النور على كل المحاولات الهادفة إلى التشويش و خلق البلبلة بإسم المسألة البربرية ، و هو بالفعل الوضع الذي تعيشه البلاد الأيام الأخيرة ، و كلنا تحفظ عن الأخطاء التي إرتكبها النظام السياسي ، و التي قد لا تكون أخطاءا إرتكبت سهوا بل لأسباب سياسية واضحة .

عرفت الحركة البربرية بعد تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية ، بعض الركود لماذا ؟ طبعا لأن كل الأنظار توجهت فيما بعد نحو هذه المؤسسة التي علقت على عاتقها المسألة رسميا ، و التي يرى مسؤولوها أن السلطات المركزية للبلاد قد قصرت تقصيرا واضحا في عملية التنفيذ و التكفل بالمطالب المقترحة ، أمر نرجعه إلى إنشغال الدولة بمواضيع

1- المرجع السابق الذكر ، المادة 4 .

جعلتها أولوية الأولويات ، سيما تلك المتعلقة بكل من الإنتخابات الرئاسية لسنة 1995 ، و التعديلات الدستورية لسنة 1996 ، لتظل هذه المسألة ، مسألة تحتل مرتبة ثانوية .

ثانيا : مساعي لتدويل المسألة البربرية .

بعد الركود الذي عرفته الحركة الثقافية البربرية جراء الإنقسامات العديدة التي شهدتها ، قامت مجموعة من المناضلين بمحاولة طرح هذه القضية خارج الحدود الوطنية ، سعيا في سبيل تدويلها لتوسيع مجالها و لكسب أكبر عدد من المتعاطفين معها ، فكانت إنطلاقة هذه العملية من زاوية ثقافية بحتة واكبت تنظيم بعض الجمعيات الثقافية البربرية لتظاهرة ثقافية أولى من نوعها في بلجيكا ساهم فيها المسرح الملكي الفلامندي ، تمثلت في مهرجان الثقافة البربرية ، و ذلك في الفترة الممتدة ما بين 17 إلى 21 ديسمبر 1994 و الذي هدف من خلاله المنظمون و المشاركون إلى التعريف بالثقافة البربرية في العالم . (1)

إتخذت هذه العملية شكلا سياسيا واكب بدوره تشكيل مؤتمر عالمي أمازيغي بالأراضي الفرنسية ، المهد الأول الذي إحتضنها منذ نشأتها و التي يستقبلها اليوم ليتم رعرعتها .

كخطوة موالية في تدويل المسألة البربرية تم إنعقاد أول مؤتمر عالمي أمازيغي بجزر الكناري بإسبانيا من 27 إلى غاية 31 أوت 1997 ، هذا المؤتمر الذي لعب دورا عالميا في مجال النضال من أجل الثقافة و اللغة البربرية ، ليمثل خطوة جديدة في مسار الحركة البربرية ، حيث هدف هذا المؤتمر إلى جلب الرأي العام العالمي حول المطالب البربرية ، ساعيا إلى تدويل المسألة عبر الهيأت الدولية للأمم المتحدة ، محاولا إكتساب الوسائل المادية و المالية و التنظيمية التي تساعده على تحقيق أهدافه ، متخذا شكل منظمة غير حكومية تأسست في 4 سبتمبر 1995 بفرنسا بمنطقة سان روم دولان و هي قرية بجنوب فرنسا ، بمشاركة ما يقرب عن 40 جمعية بربرية

1- و أ ج ، " مهرجان الثقافة البربرية " . جريدة السلام . بدون عدد ، 11 ديسمبر 1994 ، ص 05 .

عالمية ، ترأسه السيد فركال مبروك من الجزائر، و من بعده مارتن هورميتا ، من جزر الكناري ، أهدافه تمثلت في الدفاع عن الهوية و اللغة البربرية و ترقية المجتمع البربري عبر العالم ، مع حماية التراث الثقافي و الحضاري في منطقة شمال إفريقيا . (1)

تبعا للأحداث السابقة الذكر ، تم عقد هذا المؤتمر كمحاولة من طرف أصحاب النزعة البربرية لإعادة بعث الحركة النضالية من جديد ، من شأن كل ممثلي الشعوب الناطقة بالبربرية المشاركة فيه سواء كانت من المغرب العربي أو من الساحل الإفريقي أو من أمريكا اللاتينية أو من أوروبا ، هذا إضافة إلى مشاركة ممثلين عن الأقليات العرقية في العالم ، إلا أنه ما لوحظ هو أن الهيئة الرسمية الوطنية الممثلة في هذه المسألة ، و هي المحافظة السامية للأمازيغية قد رفضت مساندة هذا المؤتمر رغم مشاركتها فيه ، كما رفضت أيضا تشكيلته ، سيما فيما يخص الوفود المغربية التي كانت البعض منها وفودا رسمية ، وظيفتها الأساسية تحددت من قبل ، هذا إضافة إلى مصادقة المؤتمر على مجموعة من اللوائح الخاصة بوضعية التوارق ، السياسة اللغوية و الثقافية لبلدان شمال إفريقيا و حق تقرير المصير بالنسبة للبلدان الجنوبية ، فإنقسم على إثر ذلك المؤتمر إلى قسمين ، فرع ساند نتائجه ، و فرع أخر رفضها (2) ، موقف يتقارب من موقف الأحزاب السياسية التي تحفظت برأيها حول الموضوع ، إذ " إنتقدت المحافظة السامية للأمازيغية بشدة هذا المؤتمر واصفة إياه بالإندراج في إستراتيجيات التدخل الإقليمية ، كما ترفض المحافظة السامية للأمازيغية إطار و مفهوم السكان الأصليون أي سكان في طريق الإنقراض ." (3)

يتضح لنا من جديد إختلاف الطرحين الداخلي و الخارجي ، فالأول يهدف إلى تحقيق المساواة و إدماج كل مكونات الهوية الوطنية و هو ما نسميه بالطرح الوطني للمسألة ، و الثاني يهدف إلى توسيع مجال المسألة دوليا ليكتسب مشروعية دولية تساعده على تحقيق أهدافه التي لا تمت للوطنية بصلة.

1- عياش يحياوي ، " المؤتمر العالمي الأمازيغي " . الخبر . العدد 1279 ، 17 أيلول 1996 ، ص 03 .

2- المقابلة الثانية مع السيد جعفر أوشلوش ، مرجع سابق .

3- ح/لام ، " المؤتمر العالمي للأمازيغية ، قيادة جديدة و أهداف مشبوهة . العالم السياسي . بدون عدد ، 03 سبتمبر 1997 ، ص 04 .

إنبثقت عن هذا المؤتمر التمهيدي مجموعة من اللجان المتخصصة تمثلت في كل من : اللجنة التنظيمية ، لجنة المالية و العلاقات الدولية ، لجنة اللغة و الثقافة ، لجنة التاريخ و الأفاق ، و كذا اللجنة الإجتماعية و الإقتصادية .

ما لفت الإنتباه هو أنه " خلال أيام المؤتمر وزع على المؤتمرين النشيد الوطني البربري ، الذي يحمل اسم – تورارت نتيللي – و كان مكتوبا بالحرف الأرامي و اللاتيني و تيفناغ ، و ردده الجميع أثناء حفل عشاء ." (1)

على إثر الإنقسام الذي شهده هذا المؤتمر بين صفوف المشاركين الرافضين و المؤيدين لنتائجه ، بقيت أشغاله مفتوحة ، و ذلك إلى غاية شهر أفريل من سنة 2000 ، أين تم عقد جلسات جديدة بمدينة ليون الفرنسية ، إنتخب على إثرها السيد مولود لوناوسي رئيسا للمؤتمر ، إلا أن الرئيس الأسبق السيد فركال مبروك حاول الإبقاء على منصبه كرئيس للمؤتمر . (2)

من أهم الأسباب التي تجعلنا نتخوف من هذا النوع من التنظيمات هو مميزات أشغال المؤتمر القاضية في أبعادها بتجاهل الثقافة العربية و فعاليتها بمنطقة المغرب العربي الذي يدعو المؤتمرون إلى توحيده تحت راية واحدة و وحيدة ألا و هي الأصل البربري ، متناسين الوجود العربي الإسلامي ، الأمر الذي من شأنه أن يخلق بوادر الصراع بين الناطقين بالعربية و الناطقين بالبربرية ، و بذلك تتقارب أهداف هؤلاء المؤتمرين ذوو النزعة البربرية الإنفصالية من الإستراتيجية الأوروبية الهادفة أساسا إلى فصل الشمال الإفريقي و المغرب العربي بصفة خاصة عن المشرق العربي ، و ذلك بخلق مفاهيم جديدة للتنمية الثقافية ، مبنية على أساس حتمية إعادة النظر في تاريخ المنطقة وفقا لما يخدم الحركة البربرية الهادفة إلى تمزيغ المنطقة و تحويلها إلى وطن تمازغا الكبير المنفصل تماما عن العربية و الإسلام .

1- عياش يحياوي ، الخبر ، مرجع سابق .
2- المقابلة الثانية مع السيد أوشلوش ، مرجع سابق .

تلك هي الأبعاد الإستراتيجية التي رمي إلى تحقيقها أصحاب النزعة البربرية من خلال النشاطات الأخيرة للبعض منهم ، خاصة و هم يحاولون أن يكسبوا المسألة طرحا عالميا ، بغرض جلب أكبر عدد ممكن من المحبين ، وسيلة ضغط قد تتسبب في يوم من الأيام في كسر وحدة الشعب الجزائري بإسم الديمقراطية و الشرعية الدولية .

إنها فعلا لتوجهات خطيرة تستدعي من كل الأطراف الوطنية المعنية بصفة مباشرة أو غير مباشرة ، التحلي بالفطنة و الحذر ، سواء تعلق الأمر بالسلطات المركزية أو بالمحافظة السامية للأمازيغية أو بالأحزاب السياسية و الجمعيات الثقافية ، و ذلك من أجل أن تكون واعية بما يجري من مخططات بعيدة بإسمها أو ربما تحت إشرافها دون أن تكون على دراية بخفاياها .

في خضم هذه الوضعية التي تتصف إلى حد ما بالإبهام نظرا لإختلاط الأوراق في بعض الأحيان ، و أمام رد فعل السلطات المركزية للبلاد التي تقف وقفة متذبذبة غير حاسمة لتتسم سياستها هي الأخرى بالتناقض ، و ذلك على الرغم من أنها خطت خطوات لا يستهان بها نحو الإيجاب ، في خضم كل هذا تتواصل المطالب البربرية لتظهر في كل مرة تسمح به الظروف خارج الحدود الوطنية ممثلة بالمؤتمر العالمي للأمازيغية ، الذي إغتنم فرصة إنعقاد المحاضرة العالمية ضد العنصرية في سبتمبر 2001 ، بجنوب إفريقيا لطرح المطالب البربرية ، خاصة مع تطور الأحداث بمنطقة القبائل .

" لقد تم تناول المطلب الأمازيغي و كذا وضعية منطقة القبائل بدوربان ، و ذلك بمناسبة إنعقاد المحاضرة العالمية ضد العنصرية و التمييز العنصري ." (1)

على هذا الشكل تتضح لنا جليا التوجهات الجديدة التي تنساق إليها الحركة البربرية في الجزائر و التي تحتمي اليوم وراء غطاء عالمي رايته المبادئ الديمقراطية .

1-YAHIA ARKAT , « LE CONGRES MONDIAL AMAZIGH A DURBAN » . LE MATIN . N° 2899 , 5 SEPTEMBRE , P 4 .

نقول إذن أن الحركة البربرية في الجزائر الديمقراطية إتخذت شكلا جديدا ، بدايته كانت مع إنقضاء عهد النضال السري ، و خروج المسألة في إتجاه طرح عالمي ، قامت من خلاله العناصر المحركة له بتنظيم و هيكلة أجهزتها سواء كانت داخلية أو خارجية ، و هي تخوض اليوم معركة جديدة في إتجاه التدويل .

لن نقول أن النظام السياسي الجزائري بعد أن دخل باب الديمقراطية التي دفع ثمنها غاليا لا زالت تشهد عليه أرواح شهداء أبرار مثلهم مثل شهداء ثورة نوفمبر التحريرية ، قد إتسم بالعقلانية الكاملة ، لأن الأخطاء التي إرتكبها ممثلوه كانت سببا مباشرا في تطور الأحداث بالشكل الذي رأيناه ، فنحن نعتبر أن هؤلاء السياسيون القادة لعبوا دورا لا يمكننا أبدا أن نغفل عليه في إنحراف مسار الحركة البربرية التي يتحمل أغلبية عناصرها مسؤولية النتائج التي توصلت إليها البلاد اليوم ، و التي تسببت في تفاقم أزمة خطيرة بمنطقة القبائل ، مطالبها حتى و لو إكتسبت طابعا إجتماعيا ، إلا أنها تظل مطالب متعلقة في مضمونها بالهوية الوطنية و اللغة البربرية ، أزمة لا زالت قائمة على الرغم من المحاولات القليلة التي قام بها نظام سياسي ، مثله رئيس حكمته في تسيير مثل هذه الأمور تشهد لها الأمم خارج الحدود الوطنية ، لكن على الرغم من ذلك ، فقد إتسم موقفه أمام هذه الإضطرابات التي بدأت مع ربيع سنة 2001 لتستمر سنة كاملة ، و كأن السلطة غائبة عن الساحة السياسية الوطنية ، رد فعل غريب قد يكون أصحابه متعمدين فيه لأسباب من الأسباب ، كما قد يكون الأمر مختلفا تماما عن ذلك .

ما يهمنا نحن هي المسألة التي نحن بصدد البحث فيها ، و التي نعتبرها قد حققت تطورا هاما في مسارها ، و دليلنا على ذلك هو تلك المؤسسات التي سمحت بتنظيمها و تأطيرها .

لن نغفل عن الإقسامات و الإنشقاقات التي إتسمت بها الحركة الثقافية البربرية في الجزائر منذ تشكيلها ، إذ نعتبرها أمر من الطبيعي جدا أن يحدث ، نظرا لتمايز التيارات التي تخضع لها هذه الحركة ، تلك التي تتباين ما بين الطرح الوطني و الطرح الكولونيالي .

إن تحول المسار السياسي للبلاد في اتجاه الممارسة الديمقراطية هو أساس كل الخطوات التي واكبت تطور الحركة الثقافية البربرية في الجزائر ، إذ يرجع له الفضل الكبير في ذلك .

المبحث الثالث : أفكار بربرية خطيرة تنشؤها معطيات سياسية جديدة .

عرفت الساحة السياسية الوطنية تطورات خطيرة ، نقطة إنطلاقها كانت من ولاية تيزي وزو ، بينت ضعف القرار السياسي من جديد في تسويتها ، قد تكون نتائجها خطيرة على مستقبل البلاد .

أولا : التطورات الأخيرة للساحة السياسية .

إن الأحداث الأخيرة التي عرفتها منطقة القبائل تعد بالخطيرة بما أنها مست بأمن و سلامة المواطنين من جهة ، و بما أنها أدخلت سكانها في صراع مع أجهزة أمن الدولة ، خاصة و أنها منطقة تحمل خصوصية تجعلها تكتسب نوعا من الحساسية .

بدأ هذا الصراع ، الذي كان بالإمكان جدا أن يحدث في أية منطقة أخرى من الوطن ، ببني دوالة يوم أربعاء 18 أفريل 2001 ، أي يومين قبل الإحتفال بذكرى الربيع البربري ، حيث تشابكت مجموعة من الشباب مع مجموعة من الشبان الراكبين لسيارة من نوع رونو ، إنتهى شجارهما بتدخل فرقة من الدرك الوطني التي ألقت القبض على مجموعة منهم ، من بينهم الشاب محمد قرماح المدعو ماسينيسا ، الذي كان متواجدا بهذه الضواحي ، حيث تلقى ضربات عنيفة من طرف رجال الدرك الوطني ، إنتهى بتلقيه لرصاصة (أو رصاصات) في أطرافه السفلى ، فكانت الضربات العنيفة سبب وفاته بمستشفى مصطفى باشا بالعاصمة ، حيث نعتبره مدخلا للمظاهرات العنيفة التي عاشتها من بعد كامل منطقة القبائل ، ليأخذ المشكل طابعا جهويا و ليتسم بالعرقية ، فرصة سمحت بطرح مشاكل اجتماعية و سياسية ، على الرغم من كون لب المطالب المقدمة للسلطات المركزية متعلقة بموضوع الهوية الوطنية و اللغة البربرية تحديدا .

حضيت هذه الأحداث الدامية المخلفة لأضرار مادية و جسدية كبيرة ، بإهتمام التشكيلات الحزبية البربرية ، و على رأسها حزب جبهة القوى الإشتراكية ، و حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية ، اللذين وقفا دون تردد إلى جانب المتظاهرين للخروج في مسيرات شعبية سلمية ، داعين إلى محاربة الأفكار بالأفكار ، ساعين إلى إبعاد الشباب المتظاهر عن وسائل العنف ، و متهمين السلطة في محاولتها لخلق توترات بمنطقة القبائل دون غيرها من المناطق ، و ذلك عن طريق إعطاء أوامر لمصالح الدرك الوطني بإستعمال أسلحة نارية حقيقية ، سيما و أن عملية إغتيال الطالب ماسينيسا تزامنت مع عشية الإحتفال بالربيع البربري ، بل قد وصل الأمر إلى حد توجيه نداء إلى الهيئات الدولية ، داعين إياها للتحقيق بما يجري من تجاوزات في مجال حقوق الإنسان في الجزائر ، سيما فيما يخص هذه المسألة ، محاولات نعتبرها تسجيلات جديدة في تاريخ الحركة البربرية و مساعيها الدولية .

تبقى الأن مسألة حقيقة الخفايا الخاصة بهذه التطورات رهينة التحاليل المستقبلية ، و ذلك على الرغم من أننا نعترف بالعجز الذي عرفته السلطات المركزية في معالجتها لهذه الأحداث ، خاصة في ظل الأخطاء الفادحة التي ارتكبها وزير الدولة وزير الداخلية و الجماعات المحلية ، السيد نور الدين اليزيد زرهوني ، و هو يعترف أمام الرأي العام المحلي و الدولي على المباشر عن عدم فعالية أجهزة الدولة حين أخطأت في المعلومات الرسمية التي قدمتها له .

من جانب أخر ، نرى أنه كان من الممكن جدا تسوية هذه الوضعية فور وفاة الطالب ماسينيسا ، و ذلك بتدخل رئيس الجمهورية ، السيد عبد العزيز بوتفليقة – الذي لا نظن أن حكمته الرفيعة قد تدنت إلى مستوى العجز في تسويته لهذه القضية – للإعلان عن قرار وقف الدركي الذي إرتكب هذه الجريمة ، مع دعوته على المباشر للسيد وزير الدولة وزير الداخلية و الجماعات المحلية بتقديم استقالته ، حفاظا منه على النظام العام ، و سعيا في سبيل إعادة كسب ثقة مواطني منطقة القبائل بالدولة و أجهزتها الرسمية ، التي لا يسمح لها أبدا بمثل هذه الأخطاء التي تكلف البلد غاليا .

إن الأمور لم تحسم بهذا الشكل ، بل لجأت السلطة على غرار عادتها ، إلى الإلتزام بالصمت و الهدوء ، بل و في البداية باللامبالاة ، أمر لم يكن في صالحها ، و لا في صالح منطقة القبائل ، و لا حتى في صالح الوطن ، فقد تنقل بعد ذلك السيد رئيس الجمهورية و الأحداث العنيفة في أوجها في زيارات عمل و تفقد إلى ولايات الجنوب الجزائري ليحاول من بعيد الإجابة على الأسئلة التي يطرحها المتظاهرون ، إجراء لم يكن من باب العقلانية لتسوية مشكل كهذا ، مما تسبب في تفاقم الوضعية بإنتشار المظاهرات بمناطق أخرى من الوطن .

إستمرت الأحداث على ماهي عليه في ظل تواصل المسيرات الشعبية التي كاد أن يتشابك في أبرزها (*) الشباب المتظاهر الوافد من منطقة القبائل بفئات من شبان العاصمة ، أمر كاد بدوره أن يخلق أزمة جديدة ، ذات طابع جهوي ، تطوراتها تقود البلاد حتما إلى الحرب الأهلية .

أطرت رابطة العروش مطالب المتظاهرين ، مقدمة إياها في شكل أرضية إلى رئاسة الجمهورية ، سميت بأرضية القصر ، تضم خمسة عشرة مطلبا (1) ، أهمها يدور حول المطلب اللغوي ، رحيل عناصر الدرك الوطني من منطقة القبائل ، و قضية التعويضات الخاصة بضحايا المأساة .

إن النظرة الأولى في مطالب هذه الأرضية ، تمكننا من إلتماس الطابع السياسي الغالب عليها ، الأمر الذي جعل مسيرتها سياسية ، إتسمت بمشاداة عنيفة بين ممثليها و عناصر حفظ الأمن ، مخلفة ضحايا من الجانبين ، نتيجة حتمية لقرار تعليق السلطة للمسيرات الشعبية بالعاصمة ، تلك التي تمسكت هاته العناصر بتنظيمها في كل مرة .

يتضح لنا كذلك أن أرضية القصر تتضمن مطالب ذات طابع إنفصالي تمس مباشرة بوحدة الجمهورية ، على الرغم من أن منطقة القبائل جزء لا يتجزأ من الجزائر ، فقد بدأت الأزمة بهذه المنطقة في شكل إنتفاضة

*- و هي مسيرة 14 جوان 2001 ، المنظمة بالجزائر العاصمة .

1- EL WATAN , « LA PLATE - FORME D'EL KSEUR » . N° 3425 , 12 MARS 2002 , P 03 .

شعبية سببها الأساسي هي المشاكل الإجتماعية و الإنهيار الإجتماعي الذي تعاني منه كافة المناطق بالبلاد و ليست منطقة القبائل دون سواها ، إلا أن الملاحظ هو أن مطالب أرضية القصر هي في أغلبها ذات طابع سياسي إنفصالي .

أمام هذه الوضعية التي توحي بالخطر ، لم يبق النظام مكتوف الأيدي بل خطط بغية تقسيم الأراء و تفرقة وحدة الرؤى بين مختلف ممثلي تنسيقيات العروش ، و ذلك حتى يتسنى له التحكم و السيطرة على الأوضاع ، فكانت نتيجة ذلك هي ظهور ثلاث مجموعات ممثلة للعروش : الأولى متكونة من عناصر قابلة للحوار في ظل شروط معينة ، الثانية متكونة من عناصر قد توجهت فعلا للحوار ، يتهمها باقي ممثلي التنسيقيات بكونها مجموعة لا تمثلهم بما أنها من صنع النظام ، والثالثة وهي مجموعة راديكالية ترفض الحوار من حيث المبدأ ، و تطالب السيد رئيس الجمهورية بالموافقة على كل ما تضمنته أرضية القصر .

إن اللقاءات المتكررة بين الحكومة و ممثلي تنسيقيات العروش لم تسفر على نتائج إيجابية ، الأمر الذي لم يمنع الطرف الأول من تجديد المسعى في سبيل التسوية النهائية و السلمية لهذه الأزمة .

هذه الوضعية تذكرنا بوضعية إضراب المحفظة لسنة 1994 حيث إتخذتا نفس المسار ، إلا أن جديد تفاقم المسألة هذه المرة هو تزامنها و تنظيم الإنتخابات التشريعية لسنة 2002 ، علما أن منطقة القبائل تهدد بعدم مشاركتها ، أمر إتضح من خلال عدم تلبية كل من ممثلي حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية ، و حزب جبهة القوى الإشتراكية ، للدعوة التي وجهها السيد رئيس الجمهورية إلى كل ممثلي التشكيلات الحزبية الوطنية للتحاور حول موضوع البرلمانيات .

إن موقف الحزبين السابقي الذكر إتجاه المشاركة في هذه الإنتخابات ، يترجم بوضوح موقفهما الحرج إزاء المكانة التي باتت تحتلها تنسيقيات العروش ، و كأن هذه الأخيرة تعلن نفسها بديلا واقعيا عن التشكيلتين الحزبيتين الممثلتين للمنطقة ، الأمر الذي يبين أنها وسيلة ضغط سياسية برهنت

على قدراتها ميدانيا ، قد تكون ورقة جديدة في يد السلطة التي لن تغفل دون شك في استعمالها للدخول من جديد اللعبة السياسية الديمقراطية .

تطورت هذه الوضعية مثلما تطورت الوضعية من قبل سنوات التسعينات لتعرف نفس المسار ، حيث أنها إنتهت بقرار رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة يوم 12 مارس 2002 ، القاضي بدسترة اللغة البربرية كلغة وطنية لتكون عنصرا أساسيا مكونا للهوية الوطنية إلى جانب اللغة العربية و الدين الإسلامي .

كان إدراك السيد رئيس الجمهورية بفشل الإستفتاء الشعبي حول دسترة اللغة البربرية كلغة وطنية ، هو الذي دفعه إلى إتخاذ القرار السابق الذكر دون اللجوء إلى صناديق الإقتراع ، محاولة شجاعة لفك الأزمة ، نالت صدى إيجابيا نسبيا لدى البعض ، علما أن مسار الحركة البربرية سيتجه حتما نحو البحث في آليات ترقية اللغة و الثقافة البربرية .

إن إستجابة السلطة لأغلب مطالب أرضية القصر هو تعبير رسمي غير مباشر لوعيها بضرورة القيام بهذه الخطوة النوعية في تاريخ الهوية الوطنية ، و كذلك وعيها التام بضرورة مشاركة كل أبناء الجزائر في الإنتخابات المقبلة ، و هذا مهما كانت المنطقة التي ينتمون إليها ، الذين إذا أقصيت منهم القلة القليلة فقدت الجزائر وحدتها ، و شكك الأخرون في وطنيتها خاصة في ظل وجود أطراف تحاول إستغلال مثل هذه الوضعية لتوظيف سياستها الإنفصالية .

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنحرف ليخلق حركة بربرية جديدة ، و هي حركة الإستقلال الذاتي لمنطقة القبائل لفرحات مهني ، تلك التي ابتعدت عنها أغلب الفئات الشعبية بما أنها حركة إقصائية خطيرة تبرأت منها الأحزاب السياسية ، الحركة الثقافية البربرية ، و حتى تنسيقيات العروش ، و هذا على الرغم من أنها تتحدث بإسم سكان منطقة القبائل .

ثانيا : نشوء حركة الإستقلال الذاتي لمنطقة القبائل .

إن حركة الإستقلال الذاتي لمنطقة القبائل ، هي حركة بربرية جديدة ، صاحبها فرحات مهني ، هدفها هو تجسيد فكرة الدولة الفيديرالية ، إذ أنها تنادي بضرورة استقلالية منطقة القبائل و إنفصالها عن باقي المناطق الأخرى للوطن ، حيث يؤمن أصحابها من ذوي النزعة البربرية بضرورتها ، و منافعها التي ستعود حسبهم على المنطقة ، و على الوطن كافة .

" إن استقلالية منطقة القبائل لن تكون لا تمهيد لأية عملية إنشقاق ، و لا تكريس لأي انفصال ساذج . إنها ستسمح للجزائر بإعادة الإنطلاق في عملية البناء الوطني ، على أسس أكثر قوة و صحة . إن إحترام الهويات المحلية يسمح بتحقيق أفضل للوحدة الوطنية بعيدا عن الإقصاءات التي عشناها حتى الأن ." (1)

نراها نفسها إذن هي المحاولات الإنقسامية التي تعرفنا عليها في الفصول السابقة من هذا البحث ، تلك التي طبعت الأزمة البربرية سنة 1949 ، و التي أراد من خلالها أصحابها الإنفصال عن حزب الشعب الجزائري في محاولة تأسيس حزب الشعب القبائلي .

إن هذه الحركة الإستقلالية لبلاد القبائل لا تمثل سوى القلة القليلة من العناصر البربرية ، إذ يعبر لنا الحزب البربري الأكثر تمثيلا لهذه المنطقة ، على لسان أمينه الوطني ، أن هذه الحركة لا يمكنها في أي شكل من الأشكال أن تكون حلا إيجابيا للمطالب البربرية ، بل على العكس ، إذ يعتبر أن الإستقلالية التي تنادي بها الحركة هي بمثابة الخطر الذي يهدد الجزائر عامة و منطقة القبائل خاصة ، بل يذهب هذا الرأي إلى حد إتهام السلطة في إتخاذها لفرحات مهني ، زعيم هذه الحركة ، وسيلة لتكسير الحركة البربرية التي لا يمكنها أبدا أن تطالب في يوم من الأيام بتقسيم وحدة الجزائر ، أو أن تدعو

1- LE QUOTIDIEN D'ORAN , « FERHAT M'HENI NOUS ECRIT : L'AUTONOMIE NE SERA NI UNE SCISSION NI UN SEPARATISME . » . N° 2026 , 9 SEPTEMBRE 2001 , P 3 .

إستقلالية هذه المنطقة التي تعرف بكونها منطقة جبلية ، تعيش أساسا من مدخول هجرة أبنائها سواء كانت هذه الهجرة داخلية أو خارجية . (1)

موقف حزب التجمع من أجل الثقافة و الديمقراطية لا يختلف أبدا في نظرته لحركة فرحات مهني الإستقلالية ، عن سابقه حزب جبهة القوى الإشتراكية ، إلا أن المحافظة السامية للأمازيغية ، و من خلال التصريحات التي أدلى بها السيد جعفر أشلوش (2) ، يتضح أن هذا الحزب يقترح تحقيق اللامركزية في عملية اتخاذ القرار السياسي الداخلي ، كبديل للإستقلالية الذاتية فهو يراها عملية ضرورية و حتمية ، و ذلك من باب التخصص ، حيث أنها ستسمح بتسيير المصالح الخاصة بالمنطقة بصورة تنفعها أكثر ، و تخفف العناء عن الهيئات المركزية التي يستوجب اللجوء إليها لإتخاذ أي قرار، في حالة المركزية ، خاصة و أن المنطقة تشهد مشكلا إقتصاديا بصفتها منطقة جبلية غير منتجة ، و مشكلا يدور حول الهوية الوطنية ، و مشكلا أخر يتعلق بالكثافة السكانية الهائلة لهذه المنطقة ، عوامل هي يستند إليها أصحاب هذا الرأي في تفسيرهم لضرورة لا مركزية القرار السياسي الداخلي لمنطقة القبائل دون سواها من المناطق الأخرى للوطن ، في الوقت نفسه الذي يرفضون فيه الإستقلالية الذاتية للمنطقة و إنفصالها عن باقي المناطق الأخرى للوطن .

ثالثا : <u>مساهمات فكرية لبعض منظري الحركة البربرية .</u>

يعد منظرو الحركة البربرية في الجزائر كثيرون ، هم رواد كتاب و فنانون يناضلون من أجل إعادة بعث الروح البربرية من ثقافة و لغة داخل المجتمع الجزائري ، و ذلك كل حسب الميدان المتخصص فيه .

إن التمهيد الخاص بكتاب عمر وردان " المسألة البربرية في الحركة الوطنية الجزائرية (1926-1980) ، ذاك الذي قدمه المؤلف كاتب ياسين ، أحد المنظرين الجزائريين للحركة البربرية ، يتضمن وصفا للفتح الإسلامي لبلاد المغرب العربي بالغزو أو الإحتلال العربي الإسلامي ، ليضعه في نفس المرتبة مع الإحتلال الروماني المسيحي لهذه المنطقة ، حيث يصف

1- المقابلة المجراة مع السيد بوعيش يخلف ، <u>مرجع سابق</u> .
2- المقابلة الثانية المجراة مع السيد جعفر أوشلوش ، <u>مرجع سابق</u> .

عمر وردان ، صاحب الكتاب الذي صدر فيه هذا التمهيد ، بكونه أحد أهم مناضلي الحركة الثقافية البربرية في شتى أشكالها ليمس عمقها حين يتحدث عن نضال اللغة ، التاريخ ، الحضارة ، بل و الفكرة البربرية في حد ذاتها .

" كلا ، لا يناضل القبائل وحدهم من أجل ثمازيغت ... لا بد من أن تكون حية حتى قاومت مدة آلاف السنين من الإضطهاد ، منذ الإحتلال الروماني المسيحي إلى غاية الإحتلال العربي الإسلامي ." (1)

إن كاتب ياسين يؤكد على ضرورة الإبتعاد عن الطرح القاضي بأن البربر يشكلون أقلية بهذا الوطن ، مؤكدا أن العرب المسلمين هم الأقلية التي تطغى على البربر ، السكان الأصليين لمنطقة المغرب العربي ، موضحا من خلال التمهيد السابق الذكر ، أن كل الطروحات التي تربط الحركة البربرية بالطرح الكولونيالي هي أطروحات كاذبة بل و متخلفة لا بد من القضاء عليها .

" لسنا أقلية ، نحن أغلبية بجزء غير واع ، لكنه يتحلى بسرعة بالوعي اتجاه الإحتيال العربي الإسلامي في العالم ... تخدع و تلطخ بالدماء باسم العرق أو الدين كل الشعوب المتحابة ، أينما تواجدت ." (2)

يتناول هذا المنظر أيضا موضوع اللغة الخاصة بهذه المنطقة الجغرافية ليذكر أن اللغة الرسمية التي يجب أن تكون لسانها هي اللغة البربرية و العربية الدارجة دون سواها ، معلنا عداءه لإعتماد الجزائر اللغة العربية الفصحى كلغة وطنية رسمية .

" يتحصل على دبلوم الإستحقاق الجزائري في الفنون و الآداب سنة 1987 ، وسام رسمي سلم له من طرف رئيس الجمهورية ، و هذا على الرغم من معاداته العنيفة للغة الوطنية ، =

1- AMAR OUEDDANE , <u>LA QUESTION BERBERE DANS LE MOUVEMENT NATIONAL ALGERIEN 1926-1980</u>. ALGERIE : EDITIONS EPIGRAPHE ET DAR EL IJTIHAD , 1993 , P 11 .
2- IBID , P 13 .

= **العربية الفصحى . كان كاتب ياسين يعتبر أن اللغتين الشعبيتين ، العربية الدارجة و البربرية ، هما اللغتان الوطنيتان الوحيدتان للبلاد ." (1)**

نفس النتائج نلتمسها من خلال العرض المسرحي لكاتب ياسين المعنون " محمد خذ حقيبتك " (2) ، الذي يتناول من خلال السيناريو موضوع الهجرة التي يتميز بها أغلب سكان منطقة القبائل إلى فرنسا ، و كيفية معاملة الفرنسيون لهم بأسلوب سيء قائم على أساس التفرقة و الإحتقار ، طريقة يرمون من خلالها إلى طردهم من الأراضي الفرنسية ، طالبين منهم العودة من حيث أتوا أي من وطنهم الأصلي ، إلا أن المتمعن في خفايا هذه المسرحية ، سيلتمس دون شك الرسالة التي يود كاتب المسرحية أن يوصلها إلى جمهوره ، أي تلك المتعلقة بتعبيره غير المباشر على الوجود غير المرغوب فيه للسلالة العربية في أراضي المغرب العربي ، هؤلاء الذي يطالبهم السكان الأصليون بمغادرة المنطقة و تركها لأهلها البربر ، إذ يتضح ذلك جليا من خلال عنوان المسرحية أين استعمل الكاتب الإسم " محمد" .

على غرار هذا المنظر ، نصوب اهتمامنا للكاتب مولود فرعون ، أول الكتاب الجزائريين المستعملين للغة الفرنسية ، الذي تميز بخصوصيات علاقتها مباشرة بالتيارات التي أثرت عليه ، إذ نلتمس ذلك من خلال مختلف كتاباته .

أولى خصوصياته تتمثل في كونه ينتمي إلى منطقة جبلية تدعى تيزي هيبل ، ببني دوالة بولاية تيزي وزو ، تلك التي كانت موضوع أغلب كتاباته ، حيث تعمد إلى وصف هذه المنطقة بصورة دقيقة و كأنه يحاول أن يرسم خريطة جغرافية الهدف منها ، حسب رأينا ، هو جلب إنتباه الرأي العام الخارجي ، سيما الفرنسي ، نحوها بصفة خاصة ، و نحو منطقة القبائل بصفة عامة .

1-BENJAMIN STORA , AKRAM ELLYAS , LES 100 PORTES DU MAGHREB.FRANCE : LES EDITIONS DE L'ATELIER , ET , ALGERIE : LES EDITIONS DAHLEB , 1999 , P 209 .

2- KATEB YACINE , MOHAMED PRENDS TA VALISE . PIECE THEATRALE EN ARABE PARLE , 1971 .

ثاني خصوصية تمثلت في إنتمائـه إلـى عائلـة ريفيـة فقيرة ، الأمر الذي دفع بوالده إلى الهجرة نحو فرنسا لسـد حاجيـات عائلتـه ، موضـوع تناوله من خلاله كتاباته و كأنــه يذكـر بخصوصيـة منطقـة القبـائل الجبليـة غير المنتجة ، و هي تعاني كثيرا من التهميش فيما يخص ميدان العمل ، الإنتــاج ، بل و حتى التعليم ، إذ أنه إضطـر إلـى الإلتحـاق بـالجزائر العاصمـة لمواصلـة دراسته ببوزريعة ، أين تطبع بأفكار جديدة ، متأثرا بالإيديولوجية التي تضمنتها المدرسة الفرنسية .

نسـتنتج مـن ضمنيــات كتابــات مولــود فرعـون كيــف أن الإستعمار قد حاول استغلال الخصوصية اللغويـة لمنطقـة القبـائل لغرس معـالم الحضارة الغربية ، إستنادا إلى تركيزه على أن حاجزه في تحقيق هدفه هذا هـو اللغة العربية ، لسان القرأن الكريم ، مما يفسر لنا لجوء المسـتعمر إلـى سـكان القبائل (بصفتهم جزائريين أغلبهم غير ناطقين بالعربية) لتطبيق مخططه .

" ...يتضح أن المساجد تتمتع بأهمية أقل من تلك التـي تتمتـع بها الجماعة ... و كأن المسـنين الذيـن يقصدونهـا للصـلاة ، ينتمـون إلـى قـرن مضى ." (1)

تبقى كتابات مولود فرعون ، بمثابة الشهادات الحية للمجتمـع القبائلي ، الذي يحاول في كل مرة أن يرفع من قيمته ليقدمـه علـى هـذا النحـو إلى المجتمعات الأخرى ، سيما الفرنسيــة منـها ، عـلى أنـه مجتمـع مثـالي ، و كأن الجـزائـر كلهـا هـي بـلاد القبـائـل فقـط ، نــفسه مـا نلتمسـه مـن خـلال أعمال مـولود معمري من خلال الكتاب الذي جمع فيـه القصـائد الشـعرية لسـي محند أو محند ، أو كتاب (الـهضبة المنسية) ، أو حـتى كتـاب (الأقصوصـات البربرية لمنطقة القبائل) ذاك الـذي يلتمـس مـن خلالـه القـارئ الأسـلوب الـذي يتبناه الكاتب مولود معمري حين يفسر بعض المصطلحات العربية المسـتعملة ، و كأنه يتناولها كمصطلحات غريبة عن المجتمــع القبائلي ، إذ يتضح ذلك جليـا من خلال أقصوصة (حمامة بـيـضـاء) حين يفسر مصطلح " رومي " (2) ، أو حين يفسر مصطلح " مؤذن " (3) .

1- MOULOUD FERAOUN , LE FILS DU PAUVRE . FRANCE : LE SEUIL , 1954 , P 14 .
2- MOULOUD MAMMERI , CONTES BERBERES DE KABYLIE . FRANCE : EDITIONS POCKET JEUNESSE , 1996 , P 46 .
3- IBID , P 52 .

من خلال كتابات مختلف منظري الحركة البربرية في الجزائر أمثال كاتب ياسين ، مولوود فرعون ، مولود معمري عمر وردان ، علي قنون ، و سعيد سعدي ، نلتمس تناولهم للمسألة البربرية من زاوية مشتركة ، بدءا من خصوصية المنطقة التي ينتمون إليها ، كمنطقة جبلية و فقيرة ، صفات لازالت تلازمها إلى يومنا هذا جراء عدم إهتمام السلطات المركزية بها ، حيث اضطر أغلب سكانها إلى الهجرة خارجها ، و كأنهم يقولون أن النظام السياسي يتعمد إلى بسط هذا النوع من السياسة عليها دون غيرها من المناطق الأخرى للوطن ، و ذلك خوفا من توظيفها للخصوصية التي تتميز بها في طرح مشكل الهوية الوطنية ، ذاك الذي بات المنادون به يشبهون بأهل الكهف ، الذين ناموا و غابوا عن الواقع مدة سنين عديدة ، و حينما إستيقضوا وجدوا كل شيء حولهم قد تغير ، محاولين أن يتخاطبوا مع أهلهم بلغتهم فلم يجدوا من يفهمهم . (1)

كخلاصة قول عن هذا الفصل الأخير من البحث ، نقول أن التحاليل المتعلقة بالفترة القادمة تبقى رهينة الزمن ، إذ تحتاج إلى تأملات بعيدة المدى ، تسمح بها حقيقة ما يجري على الساحة السياسية الوطنية ، في خضم الأحداث الدولية .

إن السؤال الذي يطرح نفسه الأن يدور حول الحل الذي يمكن أن تتبناه السلطة لحل مشكل الهوية الوطنية في ظل الطرح البربري للمسالة ن بشكل لا يمس بوحدة الشعب و الأمة .

جوابنا على هذا السؤال هو تعبير عن رأينا الذي نستند فيه إلى كل ما سبق و أن قدمناه في الفصول السابقة من هذا البحث ، لنقول أن النظام السياسي الجزائري منذ الإستقلال قد أخفق في حل المسألة البربرية ، التي تعود لتظهر بقوة في كل مرة ، لتبرهن على فشل النظام في إحتوائها ، حيث تباين الأسلوب الذي طرحت به هذه المسألة من نظام إلى أخر ، و ذلك وفقا لقوة و ضعف الدولة .

1- أبو نضال ، " أهل الكهف ". جريدة المساء ، العدد 1528 ، 26 أوت 1990 ، الصفحة الأخيرة .

من خلال مطالب هذه الحركة ، المتمثلة أساسا في الإعتراف باللغة البربرية كلغة رسمية للبلاد ، و سعيا في سبيل وضع حد نهائي للمطالب العديدة التي تتفق حول المطلب المذكور أعلاه ، تلك التي باتت تستغل اليوم من طرف أصحاب التيار الفرنكفوني الأجنبي لتوظف سياسويا في إتجاه الدعوة الإنفصالية باسم الممارسة الديمقراطية من أجل بناء وطن تامزغا ، نرى أن يلجأ النظام السياسي لتنظيم استفتاء شعبي حول هذه المسألة لتصوت الأمة الجزائرية كافة فيما إذا كانت موافقة على دسترة اللغة البربرية كلغة رسمية للبلاد أم لا ، و ما تحديد هذه الفئات الشعبية لإتخاذ مثل هذا القرار الذي يهم كافتها ، للوسيلة الشرعية الوحيدة التي يمكنها أن تضع نقطة نهاية لهذه المسألة التي أضحت تشكل خطرا واضحا على وحدة الشعب الجزائري ، و كلنا ثقة في المساهمة العقلانية للعناصر البربرية الوطنية ، و التي لا يمكننا أبدا أن نشك في درجة وطنيتها ، تلك التي برهنت عليها ميدانيا كلما إحتاجت إليها البلاد بشهادة التاريخ ، متأكدين أن طرح هذه الظاهرة في الأونة الأخيرة بقوة ، أمر متعلق أساسا بوجود فراغ استغلته عناصر تتمتع بنفوذ داخل السلطة ، و عوامل خارجية ، سيما تلك المتعلقة بالدور الذي قام به الإعلام الفرنسي في تضخيم الأحداث الخاصة بهذه المسألة ، إشعالا لنار الفتنة داخل الوطن ، و ضربا للسلم به ، خاصة في ظل الإنفتاح الإقتصادي و مشاريع الشراكة الأجنبية التي تسعى الدولة جاهدة في سبيل تحقيقها ، (1) و يبقى في النهاية الرأي لا يلزم إلا صاحبه .

1- عبد العال رزاقي (أستاذ بمعهد الإعلام و الإتصال بالجزائر) ، سعد جبار (محامي و محلل سياسي جزائري) ، حصة الإتجاه المعاكس " الأحداث الأخيرة لمنطقة القبائل في الجزائر " . قناة الجزيرة . الثلاثاء 8 ماي 2001 ، الساعة 19 و 30 دقيقة .

- الخـــاتمــــة -

بعد أن أحطنا بموضوع بحثنا من كل الجوانب التي إرتأيناها ضرورية ، تمكنا من خلالها من الإجابة على الأسئلة التي شكلت إشكاليتنا ، لنستطيع الإقرار بأن النزعة البربرية ما هي إلا ظاهرة ، تظهر حينا و تختفي حينا آخر وفقا للظروف و المعطيات المحددة لها ، حيث واكبت بوادرها الأولى الإستعمار الفرنسي للجزائر ، إكتسبت طابعا سياسيا تطورت من خلاله ، مسايرة النظام السياسي للبلاد في مختلف محطاته ، إلى أن إختارت التحول إلى طرح عالمي بالخروج عن الحدود الوطنية ، محاولة منها لإكتساب مساندة الفصائل البربرية الأخرى .

من خلال مشوار الحركة البربرية في الجزائر ، تكون أزمة الهوية الوطنية أزمة أساسها مرتبط بالمسألة البربرية المطالبة بدسترة البربرية كلغة وطنية رسمية إلى جانب اللغة العربية ، مذكرين أن الشعب الجزائري خليط بين السلالتين البربرية و العربية – حتى و إن كان أغلبهم بربر – يتحدثون العربية و يؤمنون بالإسلام ، بل و يشغلون أرض وطن واحد الأمر الذي يجعلنا نقترح لجوء هذه الأمة ، التي نراها متماسكة متجانسة على الرغم من بعض الهزات التي تزعزعها أحيانا ، أن تدلي برأيها ديمقراطيا حول هذه المسألة ، ليكون موقفها الشرعي ، نقطة نهاية لأزمة تعود لتظهر بشدة في كل عشرية تقريبا باسم النزعة البربرية ، و كلنا تيقنا أن المسألة في علاقة طردية مع قوة و ضعف النظام السياسي ، إذ أننا إلتمسنا من خلال تحليلنا أن الظاهرة البربرية هي ظاهرة تندمج حضاريا ، فهي تتماشى وفقا لقوة و ضعف الدولة ، مستغلة وجود الصراعات في ظل الدولة الضعيفة لتحاول أن تبحث عن مكانة لها ، الشيء الذي حدث مع نظام الرئيس بن بلة مثلا ، بينما تخضع للسبات و السرية في الوقت الذي تثبت فيه النظام و قويت فيه الدولة في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين .

إن الأخطاء التي إرتكبتها الأنظمة السياسية للبلاد ، لا بد من تصليحها تفاديا للوقوع فيها مستقبلا ، و ذلك بالإبتعاد عن منهج الإقصاء و التهميش مع ضرورة التحلي بالروح العالية للمسؤولية في عملية إتخاذ

القرارت الحاسمة المحددة لمصير البلاد ، و التي من ضمنها المسألة البربرية التي تشكل حقيقة لا يمكن أبدا التغاضي عنها ، خاصة و أن البعد البربري يلعب دورا أساسيا في تشكيل شخصية المواطن الجزائري مثله مثل البعد العربي و الإسلامي الذي نعتبره إطارا تكميليا لهاذين الأخيرين ، إذ أن فضلا كبيرا في نشر الإسلام دينا و فكرا في إفريقيا عامة و في المغرب العربي خاصة ، بل و حتى في أوروبا ، يعود إلى البربر ، الذين ساهموا مساهمة يشهد عليها التاريخ في تطوير اللغة العربية ، سيما و قد كان للبعض منهم الفضل الكبير في توضيح القواعد النحوية للغة العربية .

فما أحوجنا إلى البحث عن الذات الموجودة و التائهة في نفس الوقت ، سعيا في سبيل جمع الشمل و بناء الدولة الديمقراطية الفعلية .

أيضا ، و كإستخلاص هام نصل إليه هو الإقرار بأن العروبة قد تأصلت بالشعب الجزائري و هي تشكل اليوم جزءا لا يتجزأ من كيانه ، الشيء الذي يجعلنا مستقبلا نبتعد عن كل الطروحات التي تتساءل في مضمونها حول عروبة الجزائر ، لأنها باتت من ضمن المكتسبات الوطنية التي لارجعة فيها .

كما لا يجب أبدا أن ننسى أهواءنا أو أنفسنا كلما عزمنا على القيام بالإصلاح ، لأن هذا الإصلاح الذي نريد أن ندخله سيخص أولا و قبل كل شيء الناشئة الصاعدة من أبناء هذا الوطن ، التي ستستفيد منه و التي ستتأثر بمدى عمق أو سطحية برامجه ، إذ أننا نرى أن أي تغيير لترقية أو تلبية مطالب الحركة البربرية يطمح لأن يكون حقيقيا ، ملموسا و ناجحا ، لا بد من أن يكون نابعا من الإرادة السياسية الفعلية للدولة .

إنه لمن الضروري الإعتراف بأن تبني الفئات الشعبية لثقافة تمثلها النخبة الموجودة بالوطن ، سواء كانت فرنكفونية أو عربية ، ليس سوى نتيجة حتمية للجهل و التخلف اللذان يطبعان المجتمع الجزائري الذي سيبقى

دون شك في حالة إستمرار هذه الوضعية ، في تبعية ثقافية تحددها الصفوة الغالبة ، إستنادا إلى أن الصفوتين في صراع دائم ، ليكون الحل الذي نقترحه هو العمل على القضاء على الفشل الثقافي ، المعبر عنه بالفراغ الثقافي الذي يطبع البلاد ، إذ من واجب المسؤولين على رأس الدولة جعله من ضمن أولويات برامجها التنموية المستقبلية ، و ذلك إنطلاقا من التطبيق الحقيقي للمبادئ الديمقراطية ، التي ستعمل بدورها على خلق ثقافة ديمقراطية ، تتمكن من خلالها الفئات البربرية من توسيع مجال ثقافتها الذي يقف عندنا في أغلب الأحيان عند الجانب الفلكلوري ، أسلوب نراه رشيدا لسد الفراغ ، ذاك الذي تسعى بعض العناصر الفوضوية لإستغلاله سياسويا ، مذكرين بل و معترفين مرة أخرى بأن ثقافتنا الوطنية قد إتسمت بالإستيراد ، تدفع الفئات الشعبية لأن تكون في تبعية واضحة ، تلزمنا على بذل كل مجهوداتنا في سبيل خلق نموذج ثقافي خاص بنا نابع من ذاتنا ، الأمر الذي لا يمكنه أن يتجسد دون إرادة الدولة التي من واجبها توجيه السياسة الثقافية للبلاد نحو الديمقراطية و الإنفتاح ، لتحدث تكاملا بين كل المقومات المكونة للشخصية الوطنية ، و التي يدخل ضمنها البعد البربري .

لا يفوتنا أيضا أن نلفت الإنتباه إلى أن كل الأحداث المتعلقة بالحركة البربرية في الجزائر ، محورها الأساسي هو منطقة القبائل ، و فاعلوها الأساسيون هم سكان منطقة القبائل دون سواهم من شاوية و توارق أو غيرهم من فصائل البربر الأخرى ، إذ أن السر في ذلك يعود إلى الخصوصيات التي تتمتع بها هذه المنطقة .

نتيجة أخرى لا يمكننا أن نتغاضى عنها ، ألا و هي تورط بعض القادة الثوريين في النزعة البربرية ، الأمر الذي لا يجعلنا أبدا ننفي الروح الوطنية لهؤلاء ، تلك التي دفعتهم بعزم و بقوة إلى للمساهمة في تحرير الوطن .

في كل حال من الأحوال ، يكون قرار السيد رئيس الجمهورية الخاص بإدراج اللغة البربرية كلغة وطنية في الدستور ، خطوة لا يستهان بها في التاريخ الجزائري ، غير أن هذا الأمر لا نظنه يعني توقف

مسار الحركة البربرية التي سيترقب أصحابها دون شك الأليات التي ستوفرها الدولة لترقية اللغة البربرية كلغة وطنية إلى جانب اللغة العربية ، مع توجههم - دون شك - مستقبلا إلى المطالبة بترسيمها ، و كلنا تيقنا أن إستمرار أعمال العنف و التخريب بمنطقة القبائل لدليل على أن هذه الإنتفاضة الشعبية ما هي إلا غطاء يخفي وراءه مطالب أخرى ، تحركها بعض العناصر التي ترفض مبدأ الحوار في سبيل تحقيق مبتغاها الإنفصالي .

أخيرا ، نسلم بأن البربرية هي جزء لا يتجزأ من تاريخنا نعتز به كجزائريين ، أما النزعة البربرية فهي من خلق إستعماري فرنسي هدفه هو تقسيم الشعب الجزائري إلى قسمين : بربر يتكلمون البربرية و عرب يتكلمون العربية ، لتبقى اللغة الفرنسية هي اللغة المشتركة بين الإثنين ، و عليه لا بد من أن نفرق بين البربرية و النزعة البربرية ، حماية للأولى و إحتماءا من الثانية ، متمنيين أن نكون قد ساهمنا و لو بالشيء القليل في عملية إثراء البحث العلمي ، آملين أن يكون عملنا هذا أرضية لبحوث أخرى في نفس الموضوع خدمة لترقية مستوى العلم و المعرفة .

كرونولوجية أحداث الحركة البربرية في الجزائــــر .

الســنـــة	الـحـــــدث
1830	بداية الحملات الخيرية التبشيرية .
1936	بداية التساؤل حول عروبة و إسلام الجزائر .
1945	- بداية النزاع داخل حزب الشعب الجزائري / حركة إنتصار الحريات الديمقراطية ، بين مصالي الحاج و عمر إيماش (أحد ملازميه الأوائل) . - محاولة توحيد المنطقتين القبائليتين في منطقة واحدة .
1949	إنفجار الأزمة البربرية حيث تمكن محند علي يحيا المدعو رشيد من دفع اللجنة المديرة لفيديرالية فرنسا لحزب الشعب الجزائري ، إلى إنتخاب لائحة تدين خرافة الجزائر العربية المسلمة .
1956	إغتيال بناي وعلى و عمر أيت حمودة .
1957	إغتيال كريم بلقاسم بالمغرب .
1963	تأسيس حزب جبهة القوى الإشتراكية .
1967	تأسيس الأكاديمية البربرية في باريس .
1971	حل كل من الإتحاد الوطني للطلبة الجزائريين و الحلقة الدراسات البربرية (CEB) .
1973	بداية تدريس اللغة البربرية في جامعة باريس III .

1976	- وضع بعض العناصر ذوي النزعة البربرية لقنابل بمراكز إدارية تابعة للدولة (بداية تحول مسار الحركة) . - شكل محند علي يحيا المدعو رشيد الجبهة الموحدة للجزائر الجزائرية (FUAA) .
1977	رفع شعارات مضادة للحكم من طرف مناصري فريق شبيبة القبائل ، رافعين رايات خاصة بالمطالب البربرية .
1980	مظاهرات الربيع البربري . إنعقاد أول ملتقى للحركة الثقافية البربرية بياكوران .
1989	- ظهور أحزاب سياسية أمازيغية شرعية (إنقضاء عهد السرية) . - إنعقاد الملتقى الثاني للحركة الثقافية البربرية بولاية تيزي وزو .
1990	حدوث إنشقاقات في الحركة الثقافية البربرية .
1994	إعلان الحركة البربرية لإضراب المحفظة .
1995	- تأسيس المحافظة السامية للأمازيغية . - تأسيس المؤتمر التحضيري العالمي للأمازيغية بفرنسا .
1997	إنعقاد أول مؤتمر بربري عالمي بجزر الكناري .
2000	إنعقاد جلسات المؤتمر الأمازيغي العالمي بمدينة ليون الفرنسية .
2001	- طرح المسألة البربرية من جديد بمنطقة القبائل إثر إغتيال الطالب ماسينيسا . - نشوء حركة الإستقلال الذاتي لمنطقة القبائل . - صياغة أرضية القصر .
2002	- قرار دسترة اللغة البربرية كلغة وطنية .

ملحق رقم 1 (1)

مطالب الحركة البربرية من خلال الملتقى الأول المنعقد بيكوران بولاية تيزي وزو سنة 1980 .

ملخص التقرير .

إن حركة تيزي وزو في ربيع 1980 التي كان لها أثر " عميق" في كل أرجاء الوطن أثارت مشكلة في غاية الأهمية تعود أسبابها إلى ما يلي :

- البحث عن هوية جزائرية حقيقية .
- العمل على ترقية لغتي الوطن (الأمازيغية و العربية الجزائرية) .
- الثقافة .
- حق التعبير عن الرأي .

هدف هذا الملتقى يتمثل في طرح مشكلة الثقافة في الجزائر مرة أخرى و بصورة أوضح لدحض الإدعاءات الكاذبة التي نشرتها مؤخرا الصحافة الوطنية و التي كادت أن تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه .

إن محاولة تحريف المشكل و نسبه إلى جهة معينة من الوطن في حين يعتبر مشكل الشعب الجزائري بإسره ، و إن كانت جهة ما تعاني من هذا المشكل أكثر من الجهات الأخرى قد كشفت عن العواقب الخطيرة الناجمة عن إحتكار الإعلام من طرف اللامسؤولية و الطائفية و التعسفية .

إن ملتقى " ياكوران " يهدف إلى خلق الحوار و رفع الخطر المفروض على النقاش الديمقراطي للمسألة الثقافية ، و نأمل أن مناقشة الملف الثقافي التي وعد بها رئيس الجمهورية ستكون مناقشة شعبية و أن السلطات المعينة ستأخذ بعين الإعتبار رأي المواطنين في ذلك .

مشكل الثقافة في الجزائر يرتبط بثلاثة محاور رئيسية :
- مشكلة الهوية الحقيقية للشعب الجزائري و الإعتراف الرسمي بلغته الأمازيغية و العربية الجزائرية .
- مشكلة حرية التعبير .
- مشكلة الثقافة في تنمية المجتمع .

1- مشكلة الهوية الثقافية للشعب الجزائري :

من المؤكد أن التعريف الرسمي لهوية الشعب الجزائري لا يتضمن الحقيقة الأمازيغية و السبب في إبعاد الأمازيغية عن هذا التعريف يعود إلى الحركة الوطنية الجزائرية التي تميزت بسيطرة الإيديولوجية العربية الإسلامية على حساب أي بعد أمازيغي للأمة .

إمتدت هذه السيطرة إلى ما بعد الإستقلال لتصبح المنطلق لكل محاولة للتعريف بالشخصية الجزائرية ، و الخلط بين ARABITE و الذي يعتبر إحدى الحقائق الثقافية للوطن و العروبة ARABISME الإيديولوجية العربية ككل ، بدأ يسيطر شيئا فشيئا على الحياة السياسية الوطنية ليصبح المنطلق الوحيد لأي تحليل للشخصية الوطنية . و الجدير بالذكر أن الإحصاء العام للسكان لعام 1966 قد اهتم - و لو بصورة محدودة جدا - بالتركيبة الأمازيغية لشعبنا في حين لم يذكرها بتاتا إحصاء 1977 .

و قد كان لهذه النظرة عواقب نذكر منها على الخصوص :

أ/ عدم الإعتراف بلغتي الشعب الجزائري : الأمازيغية و العربية الجزائرية بحجة أن هاتين اللغتين غير قادرتين على خلق " ثقافة كبيرة " .

إنه لمعترف به علميا الأن أن مفاهيم " اللغة الكبيرة " و " اللغة الصغيرة " هي عبارة عن خرافات ، لأن المعيار الوحيد الذي يحدد إستمرار لغة ما ، هو مدى إستعمالها في الحياة اليومية للشعب . و لهذا فإنه من الصعب أن نقول أن الأمازيغية و العربية الجزائرية قد تجاوزهما الزمن لأنه بإمكان أي لغة أن تصبح قوية . كل هذا يتوقف على الوسائل المتوفرة للنهوض بها .

هنا يتدخل عامل آخر في تقدم أو تأخر لغة ما و هو الإرادة السياسية للدولة للنهوض باللغة أو لقمعها ، و الأمثلة على ذلك كثيرة ، فهناك دول عديدة في الشمال و الجنوب و الشرق و الغرب إنطلقت من لغات أضعف من لغاتنا و مع ذلك إستطاعت أن تحقق بلغاتها تقدما إجتماعيا ملحوظا .

و من جهة أخرى ، إذا أردنا فعلا ضمان تعليم سليم لأطفالنا فإن الطفل يجب أن يبدأ دراسته بلغته (الأم) حتى لا يتعرض إلى مشاكل تعرقل نموه . و في هذا الصدد فإن المدرسة الأساسية تنطلق هذه السنة . فهل خصصت جزءا من برنامجها إلى لغات الشعب ؟ و الجواب مع الأسف بالنفي و خاصة فيما يتعلق بتمازيغت .

و السؤال الذي يبقى دائما مطروحا هو : هل تبقى لغات الشعب دائما مهمشة ؟

ب/ تحريف تاريخ الجزائر نظرا لسيطرة الإيديولوجية العربية – الإسلامية .

و يوجد هناك نص قصد الكتابة الرسمية للتاريخ لإخفاء أو تشويه الوقائع و الشخصيات التي تمثل الحقيقة التاريخية .

فالنظرة التاريخية نظرة " أجنبية " و " حيدية " و " منقصة " تعتمد على السيطرة العربية في الدول العربية . و السؤال المطروح هو معرفة ما يمكن أن تحمله للوطن هذه الإيديولوجية التي هي نقيض للأمة الجزائرية نفسها .

و كما لا يجب النظر إلينا كمنتوج للتاريخ الغربي ، فإختلافنا هو إمكانيتنا في المستقبل ، و كل تحليل للهوية الوطنية يجب أن يتناول مفهوم الإختلاف بكل وضوح و بكل شرف ، و لا يجب أن يتناول كسمة من سمات التراث القبلي .

ج/ إبعاد أغلبية الشعب الجزائري من الثقافة التي تعتبر حكرا على نخبة تتقن الفرنسية أو العربية الفصحى .

2/ مشكلة حريات التعبير الثقافية :

إن غياب حرية التعبير الثقافية أدى إلى خنق ثقافة الشعب الجزائري و جعلها مجرد فلكلور و بالتالي تكريس فراغ ثقافي .

و هناك جهود فاشلة متواصلة لتعريف و " إقتراح " ثقافة وطنية عربية إسلامية على أساس العصر الذهبي للإسلام .

إن المشاكل التي يتخبط فيها المسرح الجزائري الناشيء و خنق الإنتاج السينيمائي و إستحالة نشر أي شيء بالأمازيغية أو العربية الجزائرية و العراقيل التي تعترض الأغنية ...كتمازيغت ، هذه كلها تعتبر مؤشرات لسياسة تهدف إلى كسر كل المبادرات الثقافية للشعب .

3/ الثقافة في سياسة التنمية :

إن السياسة الثقافية في الجزائر المرتكزة على التعريف العربي – الإسلامي و المتجاهلة للتعبير الأمازيغي ، تترجم في الميدان بالتعريب . و أقل ما يمكن أن نقوله هو أن هذه السياسة :

– تؤدي إلى الفصل بين المثقف الجزائري و شعبه ، لأن العربية الفصحى ليست اللغة (الأم) لكل جزائري . و لهذا فإن المدرسة ، عوض أن تكون إمتدادا ...للوسط العائلي و لمحيط الطفولة الجزائرية ، أصبحت إطارا للإنقطاع و الصراع .

– تبقى التبعية التكنلوجية للبلاد بالنسبة للشركات متعددة الجنسيات . و بهذا فإن العمال يصبحون ثقافيا خاضعين لتكنلوجيا مستوردة لا يستطيعون التحكم فيها ، و محيطهم الثقافي خال منذ البداية من أي نشاط وطني منظم .

- تناقض اللغات الشعبية بالخطب الكاذبة تعتمد على " التحديث المعادي للتقاليد " .

- تعتمد على إيديولوجية لا تتفق مع مصالحنا المتعلقة بالديمقراطية و الإشتراكية و قيمنا الخاصة .

- و يتفاقم المشكل مع غياب حريات التعبير ، و تتشكل جماعات ضاغطة مأجورة من الخارج ، حول المفهوم العربي - الإسلامي ، مع التجاهل التام للأمة الجزائرية ، و إملاء على البلاد سياسة ثقافية نتائجها مفجعة منذ الأن .

و هكذا و بمعزل عن الجانب النوعي الذي لا يمكن إنكاره ، فإن ديمقراطية التعليم خيالية .

- و على سبيل المثال ، تكفي الإشارة أنه عكس ما نسمع ، فإن نسبة التمدرس عموما في إنخفاض منذ 1976 .

- لكن المشكل الثقافي بالجزائر جد واسع ، فالهياكل الإجتماعية القديمة تم حشدها أو جمعها أو حوربت صراحة (الجامعة تحت المراقبة ، إنفجار حياة الحي بالمدن) .

- لم ينجز أي عمل يسمح بتلاؤمه مع التحولات الهيكلية التي تميز مجتمعنا الحالي ، فهناك أزمة إجتماعية بالجزائر .

- إن فشل سياسة التعريب ، إنتاج التبعية الثقافية على جميع المستويات ، تضاؤل العادات ، فالإحتجاج الشعبي يبين ضرورة إعادة تحديد السياسة الثقافية بالجزائر تبعا لإنشغالات الشعب الجزائري ، و تدخل الإقتراحات التي تفرضها للمنافسة في هذا الإطار .

ملخص الإقتراحات و المطالب
" لجنة حريات التعبير و الثقافة "

نظام الإعلام :

إستعمال لغات الشعب الجزائري (العربية الجزائرية و الأمازيغية) في منظومة الإعلام على الأقل في الراديو و التلفزة أولا . و في الصحافة المكتوبة بعد التطورات اللغوية و التقنية .

السنيما :

تشجيع الخلق و الإبداع في ميدان السينما باللغتين العربية الجزائرية و الأمازيغية ، إستيراد الأفلام التي تساعد على تطوير الوعي السياسي الإشتراكي .

المسرح:

يجب تشجيع الخلق و الإبداع المسرحي باللغات الشعبية و إعادة فتح قاعات المسرح المغلوقة (سطيف ، معسكر ..) .

الإبداع الأدبي :

تشجيع الإنتاج الأدبي باللغات الشعبية و ترجمة الكتب إلى الأمازيغية و العربية الجزائرية ، كما يجب إعادة النظر في سياسة إستيراد الكتب ، بحيث يجب مراعاة الإختيار الإشتراكي .

ميدان الموسيقى :

حتى وجود الفرق الموسيقية و إلغاء الرقابة على الأغاني الملتزمة و حرية إستعمال اللغات الشعبية .

الراديو و التلفزة :

الراديو :

القناة الأولى :

- البث بالعربية الشعبية الجزائرية .
- الأخبار بالعربية الشعبية الجزائرية .
- ديمقراطية الإلتحاق بالقناة .

القناة الثانية :

- حجم الساعات و قوة البث يجب أن تكون متساوية مع القناة الأولى .
- بث برامج لكل الجهات البربرية في الجزائر (شاوية ، التوارق ، شنوي ، مزاب ، قبائل) .

التلفزة :

- إستعمال نظامي للغات الشعبية الجزائرية .
- إلغاء البرامج الأجنبية الرجعية .
- إعطاء مكانة رئيسية للثقافة الشعبية الجزائرية .
- تطوير الإنتاج الفني مع الأخذ بعين الإعتبار مشاكل الشعب الجزائري .
- إنشاء قناة ثانية للثقافات الجزائرية مع إستعمال اللغات الشعبية فقط .

الثقافة و تنمية المجتمع :

محو الأمية في اللغات الشعبية :

يجب إنشاء مطابع جهوية ، و تكوين إطارات مؤهلة و تحقيق التعليم بالمراسلة و نشر برامج تعليمية بواسطة وسائل الإعلام .

يجب إستعمال لغات الشعب في كل المجالات : في التدريس و البحث و التكوين المهني .

يجب البدء في إحصاء عدد المعلمين الذين يحسنون اللغات الشعبية .

يجب إنشاء لجنة لغوية وطنية تتكون من باحثين و أساتذة في مختلف الإختصاصات .

يجب أن تكون هيكلة هذه اللجنة كما يلي :
- مدير مكلف بالتنسيق .
- لجان فرعية كل واحدة تتكلف بلغة معينة .
- مراسلين جهويين .

إستعمال اللغات الوطنية في الإدارة :

إن تطوير اللغات الشعبية إلى لغات رسمية يعتبر شرطا من شروط التقدم الإجتماعي و لكن حتى يتحقق ذلك يحق لكل مواطن لا يعرف اللغة الرسمية الحالية أن يتقدم عند الحاجة إلى مسؤول أو عون إداري بلغته الأصلية و يحق له أن يحصل على الرد باللغة التي يحسنها و يمكن للمواطن عند الحاجة أن الراديو :

بطلب ترجمة للنص المتعامل به .
كما يجب توفير قواميس للغات الشعبية حتى يسهل إنتشارها .
كتابة الوثائق الرسمية باللغة الرسمية و بلغة أخرى حسب الجهة .
و في ميدان القضاء يجب حضور مترجمين للغات شعبية .
يجب كتابة كل المعلقات و الملصقات و الشعارات و غيرها بالإضافة إلى اللغة الرسمية بلغة الجهة الموجودة فيها ، مع الرجوع إلى استعمال الأسماء الأصلية للمنطقة .

1- أحمد بن نعمان ، فرنسا و الأطروحة البربرية . الجزائر : دار الأمة ، 1997 ، ص232-237 .

ملحق رقم 2 (1)
" بيرفيت " المخابرات و منطقة القبائل

علاقة المخابرات الفرنسية بالحركة البربرية في الجزائر هذه مجموعة من الوثائق الرسمية و التعاليق الصحفية عليها ، و هي منشورة ضمن ملف خاص إنفردت به مجلة ليبراسيون الفرنسية في عددها الصادر يوم 08 جويلية 1980 .

(الترجمة للمؤلف)

جريدة ليبراسيون : 08 جويلية 1980

الركن السياسي

بمناسبة انعكاسات قضائية لقضية قديمة ، و مناورات مؤسسة قديمة (الأكادمية البربرية) ، نلاحظ تسرب شبح المخابرات الفرنسية و الجزائرية . و ضمن هذا الديكور ، فوجئنا ؟ بتوقيع **الآن بيرفيت** ، حافظ الأختام نفسه ، على وثيقة أقل ما يقال عنها عبارة على تدخل خطير في شؤون القضاء في فرنسا من جهة ، و الشؤون الداخلية للجزائر من جهة أخرى ، و هذا ما يؤكد حتما ، أن الإهتمام بالحركة البربرية و الهوية الثقافية القبائلية كبير في أوساط الحكومة الفرنسية .

عندما " يهتم " حافظ الأختام وزير العدل
و المخابرات الفرنسية الجزائرية بالحركة البربرية

إن حافظ الأختام رجل غير حذر ، فرغم تكذيبه الخبر المتعلق بوثيقة حررت بيده ، و كشفت خيانة أصدقائه من التجمع من أجل الجمهورية أر بي أر ، إلأ أنه لا يستطيع إقناع الرأي العام ، و ننشر هذه المرة و ثيقة يتهم من خلالها وزير العدل بالتدخل الواضح في الشؤون الداخلية الجزائرية ، إذ أن الأمر يتعلق ، لا أكثر و لا أقل ، بالاستغلال الأمثل للخصوصية البربرية في فرنسا لخدمة مصالح باريس ، و ينوي و زير العدل في الأخير التدخل في ملف جنائي يوجد في مرحلة التقرير .

ضجتان جديدتان ستهم من دون شك " الإليزي " (الرئاسة) ، و " الكي دورسي" :

1- نفس المرجع السابق الذكر ، ص 222 .

الملحق رقم 3 (1)

حافظ الأختـــام
وزير العـــدل
أ. ج/د.د

باريس في 31 ماي 1978

سيدي المحترم ،

لقد اهتممت كثيرا بمذكرتكم حول أهمية الظاهرة البربرية في المغرب ، و المنفعة التي تستطيع بلادنا أن تجنيها إذا عرفت كيف تلعب بالخصوصية البربرية .

أنتم فعلاعلى حق ، و أنا متيقن من ذلك ، و باستطاعتنا أن نأخذ بعين الاعتبار هذه الخصوصية ، خاصة فوق التراب الوطني **(الفرنسي)** .

سأبعث بنسخة من مذكرتكم هذه إلى كل من وزير الداخلية و زير الشؤون الخارجية .

و فيما يتعلق بوضعية السيد محند بسعود ، سأطلع على الملف و سأرى فيما إذا أمكن إعادة النظر فيها .

تقبلوا سيدي ، أسمى عبارات مشاعري .

آلان بيـرفيت

السيد " جاك بينات "
رئيس بلدية " بوسك – لو- هارد ".
5 ، شارع فافان ،
75006 ، باريس .

1- نفس المرجع السابق الذكر ، ص 224 .

ملحق رقم 4 (1)

نـــداء إلى طلبـــة الثـــانـــويـــات
أفـــريل 1980 - أفريل 1987

(هذا النداء عبارة عن منشور (سري) للحركة البربرية موجه إلى الطلبة فـي ذكرى مظـاهرات 1980 . و المنشور موجه بالفرنسية و حدهـا (تعريـب المؤلف))

إن يوم 20 أفريل 1980 و الأحـداث الدامـيـة التـي اتسـم بهـا تبقـى راسخة إلى الأبد في ذاكرة كل الجزائريين التقدميين ، لأنها تمثل منعطفا تارخيا في التاريخ السياسي و الثقافي للبلاد .

فـي الواقـع ، هـذه هـي المـرة الأولـى التـي تتجـرأ فيهـا الجمـاهير الشعبية ، بعد انتظار طويل ، لتسعى الى تحررها من نظام تافـه يدعـى مؤيـدوه بأنهم يدافعون عن مصلحة الشعب . ومن خلال خطبهم الديماغوجية لا يتوقفـون عن تأكيد عروبة الجزائر . و هذا يمكن دحضه لأنه يستند على أسـس تاريخيـة صحيحة من الناحية الإنثروبولوجية أو اللغوية ...

نؤكد لكم أن حركتنا ليست عنصرية و لا انعزالية .

أيهـا الإخـوة الطـلاب و الطالبـات ، سـواء المعربـون منكـم أو البربوفون BERBEROPHONES لا يجب أن تنخدعوا بمن يدعون أننا عنصريـون أن انعزاليون لغرض تفريقنا و السيطرة علينا أكثر .

نعم للاشتراكية العلمية
نعم للوحدة الوطنية
لا للسيطرة العربية الإسلامية
نعم لحرية التعبيير

1- نفس المرجع السابق الذكر ، ص 221 .

ملحق رقم 5 (1)

أرضية القصر

نحن ممثلين عن ولايات : تيزي وزو ، بجاية ، البويرة ، بومرداس ، سطيف ، برج بوعريريج ، الجزائر ، و عن اللجنة الجماعية للجامعات ، المجتمعون اليوم 11 جوان 2001 ببيت الشباب مولود فرعون بالقصر (بجاية) ، نتبنى الأرضية التالية :

1- من أجل التكفل الفوري للدولة بكل الضحايا المصابين و عائلات شهداء القمع خلال الأحداث ،

2- من أجل محاكمة كل المرتكبين ، المشاركين و المنظمين للجرائم ، من طرف المحاكم المدنية و إقصائهم من أسلاك الأمن و الوظيف العمومي ،

3- من أجل تخصيص نظام شهيد لكل ضحية الكرامة سقطت خلال هذه الأحداث ، وحماية كل شهود المأساة ،

4- من أجل الرحيل الفوري لفرق مجموعات الدرك الوطني ، و إستخلافها بقوات من سلك الأمن الوطني ،

5- من أجل إلغاء كل المتابعات القضائية ضد المتظاهرين مع إطلاق صراح هؤلاء الذين تمت محاكمتهم أثناء الأحداث ،

6- الوقف الفوري لكل البعثات (EXPEDITIONS) العقابية ، التوقيفات و التحريضات الصادرة ضد المواطنين ،

7- حل لجنات التحقيق المقترحة من طرف السلطة ،

8- تلبية المطالب الأمازيغية في كل أبعادها (الهوية ، البعد الحضاري ، اللغوي و الثقافي) دون اللجوء إلى الإستفتاء الشعبي و دون أية شروط ، مع تكريس تمازيغث كلغة وطنية و رسمية ،

9- من أجل دولة تضمن كل الحقوق الإجتماعية و الإقتصادية و كل الحريات الديمقراطية ،

10- ضد سياسات تخلف ، إفقار و تشرد الشعب الجزائري ،

11- وضع تحت السلطة الفعلية للهيئات المنتخبة ديمقراطيا كل الوظائف التنفيذية للدولة ، و كذا أجهزة الأمن ،

12- من أجل مخطط إستعجالي إجتماعي إقتصادي لكل منطقة القبائل ،

13- ضد الحقرة و كل أشكال الظلم و الإقصاء ،

14- من أجل إعادة تنظيم الإمتحانات الجهوية بالنسبة للتلاميذ الذين لم يتمكنوا من أدائها ، دراسة الوضعية حالة بحالة ،

15- تأسيس منحة بطالة لكل طالب منصب شغل بقيمة 50 بالمئة من نسبة الأجر الأدنى المضمون (SMIG) .

نطلب إجابة رسمية مستعجلة و عمومية لهذه الأرضية المطلبية .

1- EL WATAN , « LA PLATE -FORME D'EL KSEUR » . N° 3425 , 12 MARS 2002 , P 03 .

قائمة المراجع

الكــتــب

1-ابـن خــلدون (عبــد الرحمان) ، تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العـبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و مـن عـاصرهم مـن ذوي السلطان الأكبر . المجلد الثـاني ، (ط2) ، لبنـان : دار الكتـب العلميـة ، 1992 .

2- إبراهيم (عبد الله) ، صمود وسط الإعصار . (ط2) ، المغـرب : مطبعـة النجاح الجديدة ، 1976 .

3- الأزهر (علال) ، المسألة القوميـة و النزعـة الأمازيغيـة و بنـاء المغـرب العربي . (ط2) ، المغرب : دار الخطابي للطباعة و النشر ، 1988 .

4-الزبيري (محمد العربي) ، مدخل إلـى تـاريخ المغـرب العربـي الحديـث . الجزائر : المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع ، بدون تاريخ .

5- المــدني (أحمــد توفيــق) ، كتــاب الجزائــر . (ط2) ، الجزائــر : دار الكتاب ،1382 -1963 .

6- بن نعمان (أحمد) ، فرنســا و الأطروحـة البربريـة . (ط2) ، الجزائـر : شركة دار الأمة للطباعة و الترجمة و النشرو التوزيع ، 1990 .

7- بن نبي (مالك) ، آفاق جزائرية للحضارة للثقافة و المفهوميــة . (ترجمـة الطيب شريف) ، الجزائر : مكتبة النهضة الجزائرية ، بدون تاريخ .

8- بهلول (محمد بلقاسم حسن) ، الجزائر بيـن الأزمـة الإقتصاديـة و الأزمـة السياسية . الجزائر : مطبعة دحلب ، 1994/1993 .

9- حزب جبهة التحرير الوطني ، الطريق إلى نوفمبر كما يرويها المجاهدون . المجلد الأول ، الجزء الثاني ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، بدون تاريخ نشر .

10- سعدي (عثمان) ، عروبة الجزائر عبر التاريخ . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982 .

11- سلطاني (أبو جرة) ، جذور الصراع في الجزائر . (ط2) ، الجزائر : دار الأمة ، 1999 .

12- شفيق (محمد) ، لمحة عن ثلاثة و ثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين . المغرب : دار الكلام للنشر و التوزيع ، 1989 .

13- قداش (محفوظ) ، الجزائر في العصور القديمة . (ترجمة صالح عباد) ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1993 .

14- قنانش (محمد) ، الحركة الإستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939 . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1982 .

15- ____ (____) ، و قداش (محفوظ) ، حزب الشعب الجزائري 1937-1939 . الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، بدون تاريخ .

16- مركز دراسات الوحدة العربية ، العرب و إفريقيا : بحوث و مناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي ، (ط2) ، لبنان : 1987 .

17- مصايف (محمد) ، في الثورة و التعريب . الجزائر : الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1973 .

المقالات :

1- أبو نضال ، " أهل الكهف " . المساء . العدد 1528 ، (أوت) 1990 .

2- جلول (فيصل) ، " ضغوط لجرهم إلى المواجهة ، هل يمارس البربر رقصة الحرب أم رقصة السلام ؟ " . مجلة الوسط . العدد 120 ، (ماي) 1994 .

3- ح (لام) ، " المؤتمر العالمي للأمازيغية ، قيادة جديدة و أهداف مشبوهة " . العالم السياسي . بدون عدد ، (سبتمبر) 1997 .

4- حميد (عبد القادر) ، "أزمة صيف 1962 بداية الصراع على السلطة " . الخبر . العدد 2203 ، (فيفري) 1998 .

5- زاهد (أحمد) ، " طبيعة الحضارة الأمازيغية " . تامونت . العدد 11 ، (يونيو) 1997 .

6- عياش (يحياوي) ، " المؤتمر العالمي الأمازيغي " . الخبر . العدد 1279 ، (أيلول) 1996 .

7- و أ ج ، " مهرجان الثقافة البربرية " . السلام . بدون عدد ، (ديسمبر) 1994 .

المواد غير المنشورة :

1- بقطاش (خديجة) ، " الحركة التبشيرية في الجزائر من سنة 1830 إلى 1871 " . دبلوم الدراسات المعمقة ، معهد العلوم الإجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 1978/1977 .

الوثائق الرسمية .

1- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، دستور 1963 .
2- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، ميثاق 1976 .
3- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، دستور 1976 .
4- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، ميثاق 1986 .
5- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، دستور 1989 .
6- أ .و.ب رقم ف 80 ، 1746 .
7- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، المرسوم الرئاسي رقم 95/147 المؤرخ في 27 ماي 1995 .
8- رئاسة الجمهورية ، خطاب السيد رئيس الجمهورية الشادلى بن جديد يوم 16 جانفي 1980 .

المقابلات :

1- مقابلة مع السيد أوشلوش جعفر ، مدير فرعي مكلف بالإعلام بالمحافظة السامية للأمازيغية ، يوم السبت 8 سبتمبر 2001 ، الجزائر .
2- مقابلة مع السيد أوشلوش جعفر ، مدير فرعي مكلف بالإعلام بالمحافظة السامية للأمازيغية ، يوم الثلاثاء 18 سبتمبر 2001 ، الجزائر .
3- مقابلة مع السيد بوعيش لخضر ، أمين وطني لحزب جبهة القوى الإشتراكية ، يوم الثلاثاء 18 سبتمبر 2001 ، الجزائر .

المجلات و الجرائد :

1- المجلة الإفريقية ، مجلد 6 ، 1862 .
2- المجاهد ، " أعداء الثورة كما تدمغهم الوثائق " . العدد 236 ، (أكتوبر) ، 1964 .
3- عبد العال رزاقي ، سعد جبار ، " الأحداث الأخيرة لمنطقة القبائل في الجزائر " . حصة الإتجاه المعاكس . قناة الجزيرة ، الثلاثاء 8 ماي 2001 ، الساعة 19 و 30 دقيقة .

BIBLIOGRAPHIE .

ENCYCLOPEDIES :

1-MOURRE , MICHEL , BERBERES . IN : DICTIONNAIRE ENCYCLOPEDIQUE D'HISTOIRE , TOME 1 , FRANCE : PRESSE DE L'IMPRIMERIE BERGER LEVRAULT , 1989 .

LIVRES :

1- BAUMANN ET WESTERMANN , LES PEUPLES ET LES CIVILISATIONS DE L'AFRIQUE . NP , ND .

2- BEN KHEDDA , BEN YOUCEF , LES ORIGINES DU 1er NOVEMBRE 1954 . ALGERIE : EDITION DAHLEB , 1989 .

3- BENJAMIN STORA, AKRAM ELLYAS, LES 100 PORTES DU MAGHREB. FRANCE: LES EDITIONS DE L'ATELIER ET ALGERIE : LES EDITIONS DAHLEB, 1999.

4- __________ , ________________ , ABBANE - BEN M'HIDI LEUR APPORT A LA REVOLUTION ALGERIENNE . ALGERIE : EDITION DAHLEB , 2000 .

5- BOUDIAF , MOHAMED , OU VA L'ALGERIE ? .FRANCE : LIBRAIRIE DE L'ETOILE , 1964 .

6- BOURGES, HERVE, L'ALGERIE A L'EPREUVE DU POUVOIR. NP : EDITION GRASSET, 1967.

7- CESAR , JULES , GUERRE D'AFRIQUE . (TRADUIT PAR A.BOUVERT),FRANCE: LES BELLES LETTRES , 1949.

8- DERSA, L'ALGERIE EN DEBAT: LUTTES ET DEVELOPPEMENT . FRANCE: LIBRERIE FRANCOIS MASPERO, 1981.

9- DOMINIQUE , - LC , UN GOUVERNEUR GENERAL DE L'ALGERIE, L'AMIRAL DE GUEYDON. ALGERIE : NP, 1908.

10- ECREMENT, MARC , INDEPENDANCE POLITIQUE ET LIBERATION ECONOMIQUE . ALGERIE : ENAP - OPU ET GRENOBLE : PUG , 1986 .

11- ELIE, GEORGES, LA KABYLIE DU DJURDJURA ET LES PERES BLANCS.FRANCE :NP, 1923.

12- ESQUER , GABRIEL, LA PRISE D'ALGER: FRANCE , 1921.

13- ______ , ________ , CORRESPONDANCE DU DUC DE ROVIGO 1831-1833. (TOME 2) , ALGERIE : NP, 1920.

14- FERAOUN , MOULOUD , LE FILS DU PAUVRE . FRANCE : LE SEUIL , 1954 .

15- FOURNEL , HENRI , LES BERBERES: ETUDE SUR LA CONQUETE DE L'AFRIQUE PAR LES ARABES. (TOME 1), FRANCE : IMPRIMERIE NATIONALE, ND.

16- GUENANECHE , MOHAMED et MAHFOUD KADDACHE , LE PARTI DU PEUPLE ALGERIEN . NP , ND .

17- _____ , ________ ET ____________ , ______________ , L'ETOILE NORD AFRICAINE . ALGERIE : OPU , ND .

18- GUENOUN , ALI , CHRONOLOGIE DU MOUVEMENT BERBERE . ALGERIE : CASBAH EDITIONS , 1999 .

19- HADDAB, M, EDUCATION ET CHANGEMENTS SOCIO-CULTURELS: LES MONITEURS DE L'ENSEIGNEMENT ELEMENTAIRE EN ALGERIE. ALGERIE : OPU-CNRA, 1979.

20- HADDADOU , M.A , GUIDE DE LA CULTURE ET DE LA LANGUE BERBERE . NP : ENA - ENAP , N D .

21- HARBI , MOHAMED , LE FLN MIRAGE ET REALITE . ALGERIE : EDITION J A , 1980.

22- LACOSTE , YVES ET CAMILLE , L'ETAT DU MAGREB . FRANCE : EDITION LA DECOUVERTE , 1991 .

23- MAMMERI , MOULOUD, LES ISEFRA DE SI-MOHAND. FRANCE: FRANCOIS MASPERO, 1982.

24- _______, __________, CONTES BERBERES DE KABYLIE . FRANCE : EDITIONS POCKET JEUNESSE, 1996.

25- MTOUGGIN, IHAOUSSANE, VUE GENERALE DE L'HISTOIRE BERBERE. ALGERIE : LA MAISON DES LIVRES, ND.

26- OUHERDENE , AMAR , LA QUESTION BERBERE DANS LE MOUVEMENT NATIONAL ALGERIEN 1962-1980. ALGERIE : EDITIONS EPIGRAPHE ET DAR EL IJTIHAD , 1993 .

27- SADI , SAID , l'ALGERIE L'ECHEC RECOMMENCE ? . ALGERIE : EDITIONS PARENTHESES , 1991 .

28- YEFSAH , ABDELKADER , LA QUESTION DU POUVOIR EN ALGERIE . ALGERIE : ENAP , 1990 .

29- YOUSFI , M'HAMED , LE POUVOIR 1962-1978 . ALGERIE : EN-ANEP , ND .

ARTICLES :

1- ARKAT , YAHIA , « LE CONGRES MONDIAL AMAZIGH A DURBAN » . LE MATIN . N° 2899 , (SEPTEMBRE) 2001.
2-OUCHELLOUCHE, DJAFFAR, « LE HAUT COMMISSARIAT DE L 'AMAZIGHITE » . TIMMUZGHA . N ° 01 , (FEVRIER) 1999 .

DOCUMENTS OFFICIELS:

1- REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE , CONSTITUTION DE 1963.

2- REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE , CONSTITUTION DE 1976 .

3- REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE , CONSTITUTION DE 1989 .

4- REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE , CONSTITUTION DE 1996 .

INTERVIEWS .

1- INTERVIEW AVEC MONSIEUR OUCHELLOUCHE DJAFFAR , SOUS DIRECTEUR CHARGE DE L'INFORMATION AU NIVEAU DU HAUT COMMISSARIAT DE L'AMAZIGHITE , LE SAMEDI 8/SEPTEMBRE 2001 , ALGER .

2- INTERVIEW AVEC MONSIEUR OUCHELLOUCHE DJAFFAR , SOUS DIRECTEUR CHARGE DE L'INFORMATION AU NIVEAU DU HAUT COMMISSARIAT DE L'AMAZIGHITE , LE MARDI 18/SEPTEMBRE 2001 , ALGER .

3- INTERVIEW AVEC MONSIEUR BOUAICHE YEKHLEF , SECRETAIRE NATIONAL DU PARTI DU FRONT DES FORCES SOCIALISTES , LEMARDI 18/SEPTEMBRE 2001 , ALGER .

REVUES ET JOURNAUX .

1- EL WATAN . « LA PLATE - FORME D'EL KSEUR » . N° 3425 , (MARS) 2002 .

2- LE QUOTIDIEN D'ORAN . « L'AUTONOMIE NE SERA NI UNE SCISSION NI UN SEPARATISME» . N° 2026 , (SEPTEMBRE) 2001 .

3- KATEB , YACINE , « MOHAMED PRENDS TA VALISE » . PIECE THEATRALE EN ARABE PARLE , 1971 .

4- TIMMUZGHA , « COMMUNIQUE DE LA PRESIDENCE DE L'ETAT » . N° 1 (FEVRIER) , 1999.

الفهــــرس